مجلة شهرية

نـــــور يسوع المسيح ابن الله المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: Issue No: 35
تموز July 2010

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الرسل بولس، أندراوس وبطرس

أيقونة روميّة من القرن الثالث عشر - دير القديسة كاترينا

محتويات العدد

2 دنيا خدّاعة

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

5 المعرفة الروحيّة للقديس سمعان اللاهوتي الجديد

6 خطاب مدائحي لهامتي الرسل

8 تفسير القدّاس الإلهي

10 الوصايا العشر في ...

13 درجات المعرفة الثلاث

16 المجيء الثاني - كونيارس

19 كيف أتقدّم إلى الأسرار المقدّسة

20 تدمر ... واحة الصحراء

21 طريق النساك

22 العهد القديم . (١٩)

23 عجائب القديس يوحنا الروسي

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي

(الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون

سكرتير جمعية نور المسيح

دنيا خداعة

إستولى الإسكندر على معظم بلاد العالم قبل أن يبلغ الرابعة والثلاثين من عمره. وإذ اقترب من لحظات الموت قال لمن حوله: ﴿لقد قاربت أيامي أن تنتهي ولي وصيّة واحدة ... أرجو أن تحقّقوها لي. أرجو أن تبسطوا يديَّ خارج الصندوق عند موتي. لكي يَعلَم العالم كلّه أنّ الإسكندر الأكبر لم يأخذ شيئاً معه. خرَجَ من العالم فارغ اليدين﴾. «عرياناً خرجت من بطن أمّي وعرياناً أعود إلى هناك» (أيّوب ١:٢١).

صديقي القارىء

إنّ الدنيا خدّاعة فهي عدو يغطيّ نفسه باللذّة. وكثيرون مما انخدعوا بالعالم لم يفيقوا إلاّ عند موتهم عندما وجدوا **آياديهم فارغة** مما اقتنوا ، ولم تُجْديهم الندامة نفعاً بعد أن نفَذَ سهم القضاء.

إنّ الذين تركوا الدنيا لم يبكوا على الدنيا لأنّهم لم يَعُد لديهم دموع للبكاء عليها. فكم من البلايا والمحَن أوقعتها بهم الدنيا طوال فترة حياتهم ، فَانسكبت دموعهم كالينابيع. حتى لم يجدوا قطرة واحدة يجودوا بها على الدنيا في يوم فراقهم لها.

لا تنخدع بملذّات هذا العالم، فما عاقبة اللذّة إلاّ مرارة ، وما نهاية هذه الحياة التي تحبّها سوى الدود والرماد.

ما الذي يحبّبك في هذه الدنيا الخدّاعة ؟

أليسَ أنّك تشقَى وتتعب طول حياتك مقابل اللقمة التي تأكلها والخرَق التي تستر بها جسدك. وفي نهاية حياتك تخرج من هذه الدنيا مظلوم في أجرتك. تخدمها طول عمرك ، وفي الآخر تخرج منها **صفر اليدين** بدون أي مكافأة.

لقد ضَحكَت عليك الدنيا الخدّاعة وزيّنت لك خدمتها بوعود كثيرة ، ظاهرها الأمانة وباطنها الخيانة.

لقد صرَخ (رابليه) الشاعر الفرنسي وهو يموت قائلاً: ﴿أنزلوا الستار فقد انتهت الخدعة﴾

يا لشقاء مَن ينهمك بالعالم ، ويا لسعادة مَن يتهاون به. لعلّكم تغترّون بما تهبه الدنيا للبعض من زُخرف المعيشة.

إنّ **غناها ممزوج بالخوف ، وصحّتها بالفقر وعظمتها بالهمّ**. فهوذا الأغنياء يخافون من هجمات اللصوص . وكم من عظماء هَربَ النوم من عيونهم وسهروا الليالي بسبب همومهم ومسئوليّاتهم.

الإسكندر الكبير

حقّاً دنيا خدّاعة ؛ إذا تعطّفت علينا بيوم فرح، أغدقت علينا بأيام حزن ، وإذا تمتّعنا مرّة بالأصدقاء التقينا كثيراً بالأعداء. يُقاتل البعض من أجلها ، كما تتقاتل الكلاب على الجيفة النتنة.

الدنيا في ظاهرها ذات منظر بهيج يجذب القلوب ، ولكنها من الداخل مملوءة أباطيل. تُغريك بأنّها جيّدة وهي في الحقيقة رديئة. فلا تجعل قلبك على محبّتها ولا يخدعك جمالها.

لو عرفت هذه الدنيا على حقيقتها لقلت مع الحكيم سليمان: «باطل الأباطيل الكل بالطل» (جا١:٢).

إنّ العالم يَعدك بالغنَى واللذة والمجد وهكذا يغري العسل الذباب بالحلاوة. ويَعِد السراب الغزال بالإرتواء .. وتَعِد النار الفراشة بالضوء ..

ولكن الموت كائن في كل هذه ، لأنّ الخائن إذا أراد الخداع لا يأتي قاسياً بل ليّناً.فالخداع جلبَ الموت على آدم وحواء في الجنّة فلا تنخدع في الدنيا. **فأيّ عزيز لم تذّله ، وعظيم لم تحطّمه، وعرش لم تهدمه ، وقصر لم تنقضه ، وقوي لم تضعفه. وأي قلب لم تَرْمه بسهام أحزانها، وعين لم تجرحها بآلامها ؛ وقلب لم تصدعه بهمومها ، وفم لم تُذقه بمرارتها. وأي إمرأة لم ترملها ، وابن لم تيتمه. أي رأس متشامخة لم تحنها ، وظهر معتدل لم تكسره، وشعر أسود لم تبيّضه فلا بقاء فيها لمجد.. ولا ضمان فيها لراحة.**

وهذا شأن الدنيا تعدك دائماً بالسعادة وتُزَيّن لك الأمور وبعد تعبك وجهادك تكشف لك في نهاية الأمر أنها دنيا خدّاعة.

قال أحد المخدوعين في هذه الدنيا:

خدعني البحر بمياهه الكثيرة .. فما رواني
وخدعتني سحابة صيف عالية .. فما أمطرت

لا تنخدع أيها الحبيب من هذه الدنيّا .. ولا تضيّع حياتك فيما لا يفيد.

الحياة فرصة ، إذا ضاعت فلن تعود

الحياة هي المسيح الإله المعبود

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

لتذكار القديسيْن المجيدين والرسولين الكلّي مديحهما هامتي الرسل بطرس وبولس

«لنمتدحنّ يا أهل العالم كافّة بطرس وبولس. هامتيّ الرسل وتلميذي المسيح. حجريّ الكنيسة الأساسيّين وقاعدتهما وعموديّهما الحقيقيين. وبوقَيّ عقائد المسيح وآلامه الإلهيّين ...

فيا بطرس الصخرة والقاعدة. ويا بولس الإناء المصطفى. يا زوج فدادين المسيح. لقد إجتذبتما إلى معرفة اللّه الجميع أمماً ومدُناً وجزائر. فيما أنتما ماثلان لدى العرش الإلهيّ، تشفّعا فينا إلى المسيح».

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع

إن شهر حُزيران هو شهرٌ مخصّص ومكرّس لتذكار حافل للرسل القديسين الإثني عشر الأمجاد الكليّ مديحُهم. وخاصّة تذكار هامتيّ الرسل بطرس وبولس. هذا لأنّ تذكارهما يُكرَّم بالصيام المعروف بصيام الرُسل.

إنّ الكنيسة تحتفل بعيد الرُسل الأطهار لأنّهم عاينوا تجسّد الكلمة ، وكانوا شهوداً له. كما يذكر مرنّم الكنيسة : «لقد أُرسلتم إلى العالم مثل شُهُب ساطعة الضياء بالروح القدس. يا خَدَمة الأسرار الكلّيّي السعادة. تمنحون الناس مفاعيل صُنع العجائب بسخاء. فانّكم أصبحتم خُدّاماً لأسرار المسيح. وألواحاً للنعمة الإلهيّةً كتبها اللّه ونقش عليها شريعته الإلهيّة».

لماذا تكرِّمُ كنيستُنا المقدّسةُ، الرسولين بطرس وبولس وتُميّزُهما عن باقي الرسُل الأطهار . ؟

إنّ كنيستَنا المقدّسةَ، تُكرّمُ الرسولين بطرس وبولس وتُميّزُهما عن باقي الرسُل الأطهار . ليسَ فقط لأجل عمل البشارة والكرازة المميّزة، التي قاما بها ، بل لأنّهما وبحسب تعاليم الآباء القديسين : أظهرا أساس العقائد الإلهيّة الراسخة، فقد تركا لنا إرثاً روحيّاً ثميناً، ألا وهو الرسائل الإلهيّة، التي تعتبر دُرُراً لاهوتيّة تجسّد تعاليم المسيح الإلهيّة. التي نَوَّه عنها الرب في بشارته السّارة عندما قال: «وأما الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السماوات» (متى٥:١٩).

وبالإضافة إلى ذلك ، إنّ الرسول بطرس هو الذي أعلن إعترافه اللاّهوتيّ للمسيح حين قال: «أنتَ هو المسيحُ ابنُ اللّه الحيِّ» . فأجاب يسوع وقال له: « طوبَى لك يا سمعانُ بن يونا، إنَّ لحماً

وَدَماً لَمْ يُعلن لكَ، لكن أبي الذي في السماوات. وأنا أقول لك أيضاً: أنتَ بطرسُ، وعلى هذه الصخرةِ أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوَى عليها.» (متى ١٦:١٦–١٨).

أما بالنسبة للرسول بولس ، فقد اعتُبرَ إناءاً مختاراً من المسيح الإله : إذ قال لحنانيّا «اذهبْ! لأنّ هذا لي إناءٌ مُختارٌ ليحملَ اسمي أمام جميع الأمم» (أعمال الرسل ٩:١٥). هذا لأنّ الرسول بولس كان مضطهداً لكنيسة المسيح كما اعترف هو بذلك حين قال: «لأنّي أصغر الرُسل، أنا الذي لستُ أهلاً لأنْ أُدعى رسولاً، لأنيّ اضطهدتُ كنيسة اللّه.» (١ كورنثوس ١٥:٩).

إنّ الشيء المُمَيّز للرسولين بطرس وبولس هو الحماس، والغير المتّقدة، لم يكن الرسول بطرس متعلماً، بل كان إنساناً بسيطاً من عامة الشعب ، يتّخذ من صيّد السمك مهنة له ليقتات منها.

أمّا الرسول بولس فقد ترعرع في مدينة طرسوس المشهورة ، التي كانت مركزاً ثقافيّاً هاماً ، فهي مدينة تجاريّة حرّة ومركزاً عالميّاً للتبادل التجاري بين هذه الأرض وبلاد أفسس والإسكندرية وكورنثس وروما واسبانيا، لذلك كان مُلمّاً بالعلوم والثقافة اليونانيّة والعبريّة، بليغ الفصاحة، له جرأة كبيرة غيوراً على تعاليم الناموس .

إلاّ أن هذا التفاوت بين هاتين الشخصيتين لم تمنعا من أن يكونا نموذجاً للخطأة التائبين يُحتذى بهما. فالرسول بطرس الذي كانت تربطه بالمسيح محبّة جارفة، أنكر معلّمَه وقت الآلام وقَبْلَ صياح الديك.

أما الرسول بولس ، فعندما إلتَقى بالمسيح على طريق دمشق في رُؤياه تحوّل من مضطّهد إلى مُبَشِّر.

من هنا نلاحظ أنّ الرسولين بطرس وبولس أصبحا متمثلين بالمسيح يسوع، أي أنّهما التزما بتعاليمه ، فقد كَرَزا وبَشَّرا بهذا الإيمان حتى الدم ، وهكذا تمثّلا بآلام المسيح الصليبيّة.

هذا هو الإيمان المُطَوّب للرسولين. أي الإيمان الصادر والنّابع من التوبة الحقيقيّة، الأمر الذي رَفَعَ وَعلاَّ شأنَ ومَنزلة هذين الرسولين ، ليُصبحا مُتَوّجين في كنيسة المسيح الرسوليّة.

هذا الإيمان، وهذا الإعتراف لعمل المسيح الخلاصيّ، قد حوّل الرسول بطرس من رافض للإيمان ، إلى **صخرة الأيمان** (بشهادة المسيح نفسه)، إنه على هذا الإيمان الذي أعلنه بطرس بإيحاء من اللّه سيبني المسيح كنيسته المقدسة الجامعة الرسوليّة ، التي لن تقوى عليها أبواب الجحيم .

أما القديس بولس فقد تحوّل من **الجحود والإضطهاد**، إلى **الإيمان الحقيقي والمُبَشِّر للكنيسة.** حيثُ لُقِّبَ بالإناء المُصطفى.

أيها الأخوة الأحباء بالربّ الفادي يسوع المسيح

لا يتميّز إيمان الرُسُل الأطهار وإيمان الرسولين بطرس وبولس عن بعضهما البعض ، لأنّه لا يوجد إختلاف بين إيمانهم، ذلك لأنّهُم جميعاً ينهلون من مَعين الروح القدس المتدفّق من نعمَة المسيح إذ أنّ الروح القدس هو روح المسيح. هذا الروح الذي استقرّ على رؤوس التلاميذ يوم العَنْصَرة بشكل ألسنة ناريّة.

فالعطاء الذي يُغدقه الرب يسوع على تلاميذه أجمعين، هو عطاء غير محدود، لا يخضع لمقياس الكميّة والنوعيّة والكيفيّة، لكنّه مفعول الروح القدس غير المخلوق المهيمن والضابط لهؤلاء الذين إختارهم المخلّص ، فبعد قيامته عند ظهوره للتلاميذ ، نفَخَ فيهم الروح القدس . «ولما قال هذا نفخ وقال لهم: «إقبلوا الروح القدس. مَن غفرتم خطاياه تُغفر له، ومَن أمسكتم خطاياه أُمسكَت». (يوحنا ٢٠:٢٢–٢٣). إذاً جميع التلاميذ إقتبلوا الروح القدس بتساوٍ تام ، فكلّهُم واحد في المسيح.

من هنا تَرفُض الكنيسة الأرثوذكسيّة المقدسة الجامعة الرسوليّة أُم كلّ الكنائس في العالم وبشدّة التفسيرات التي تدور حول كيفيّة وفاعليّة عمل الروح القدس في الكنيسة عامة واسرارها خاصّة، هذه التفسيرات اللاهوتيّة الركيكة والضعيفة وغير الثابتة ، التي لا تستند لتعاليم الكتاب المقدس، والتي تتجاهل ربما عن قصد تعاليم الآباء القديسين.

و نذكر هنا إحدى التفاسير لآباء الكنيسة الأوائل:

« نحنُ قائلين أيضاً كَبُطرس أنتَ المسيح ابن اللّه الحيّ، **نُصبح بطرس** إذ لنا يُقال أيضاً من كلمة اللّه أنتَ بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي.

لأنّه **صخرة** هو كلّ واحدٌ منا يتمثّل المسيح ...

وكل صخرة من نفس هذه الصخرة يبني كل **كلمة** الكنائسيّ ...

وكيفيّة الحياة حسب هذه الكلمة» إنتهى.

ولتوضيح هذا التفسير نقول: أنّ الكامل بالإيمان (البالغ درجة التألّه) الذين يمتلك في داخله كل **كلمة** ، أي كل التعاليم والأعمال والأفكار والفضائل ، فاللتي تُكَمِّل التطويب ، **هي الكنيسة المبنيّة من اللّه.**

فكل مؤمن يبلغ درجة التألّه (أي الحاوي الإيمان ، والتعاليم، والأعمال والفضائل)، يُعتبر **صخرة** في الإيمان ، من هذه الصخور تُبنى الكنيسة بعمل الروح القدس فيها.

فالقديس يوحنا الذهبيّ الفم يقول: أنّه هناك مكاناً للمؤمنين الذين سيأتون في المستقبل القريب أو البعيد ؛ هؤلاء سيؤمنون بتعاليم المسيح ، ويصبح كل مؤمنٍ منهم **صخرةً** في الإيمان.

وحسب **زيغاڤينوس** : ما هي الكنيسة ؟ الكنيسة هي جماعة المؤمنين.

أيها الأخوة الأحباء بالفادي يسوع المسيح.

إنّ الصيام الذي يَسبق عيد هامتيّ الرسل وعيد الرسل الأطهار هو الصيام المخصّص لعَمل الخدمة، تلك الخدمة التي وكّلها الرب للتلاميذ إذ قال لهم: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس. وعلّموهم أن يَحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر»، آمين (متى ٢٨:١٩–٢٠).

إنّ السيّد المسيح ما زال ينتظر منّا نحنُ أبناء الكنيسة الأرثوذكسيّة الجامعة المقدّسة الرسوليّة، التي انتشر الإيمان المسيحي من عقر دارها لكل أصقاع الأرض. إنّه ما زال ينتظر منّا أن نكون له شهوداً «لكنّكم ستنالون قوّة متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كلّ اليهوديّة والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أعمال الرسل ١:٨).

يجب علينا أن نكون شهوداً لتجسّد كلمة اللّه وعمله الخلاصيّ وموته الثلاثيّ الأيام، وقيامته المجيدة، وصعوده إلى السماء. شهوداً بأن المسيح هو الطريق والحق والحياة ، شهوداً بأعمالنا المقترنة بهذا الإيمان الرسوليّ ، كما قال لنا المخلّص «فليضيء نورُكم قدّام النّاس، لكي يَروا أعمالكم الحسنة، ويمجّدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥:١٦). بهذا الإيمان غير المنفصل عن الأعمال الحسنة يصبح كل واحد فينا **صخرة** يبني عليه المسيح كنيسته المقدّسة التي لن تقوى عليها أبواب الجحيم .

فبشفاعة الرسل الأطهار أيها الربّ يسوع لا تنفك تعمل فينا ، ولا تتركنا نحنُ الخطأة ، بل بعظيم تحنّنك أرسل نعمتك الإلهيّة لتُعيد فينا تلك النعَم التي أغدقتها علينا لنكون لك شهوداً كباقي الرسل، أُمناء على وديعة الخلاص ثابتين وراسخين ومكثرين في عمل الرب الآن وإلى الأبد . آمين

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

المعرفة الروحية ـ القديس سمعان اللاهوتي الحديث

المعرفة الروحية هي مثل بيت مبني في وسط المعرفة الوثنية وفي وسطه صندوق يحتوي كنوز الكتاب المقدس التي لا تُقدّر. لا يكفي دخول هذا المنزل لرؤية هذه الثروات إنما ينبغي فتح الصندوق، وهذا ليس بالحكمة الإنسانية كي تبقى ثروات الروح الموضوعة فيه مجهولة للأرضيين. إن مَن يحفظ الكتابات جميعاً عن ظهر قلب كما يحفظ مزموراً واحداً، في حين يجهل عطايا الروح القدس المخبأة فيها، هو مثل مَن يحمل الصندوق على كتفيه دون أن يعرف ما في داخله.

إذا ما رأيت صندوقاً صغيراً مغلقاً بإحكام قد تحزر أن فيه كنزاً من وزنه ومظهره وربما مما سمعت عنه، فلهذا تلتقطه وتهرب به. ولكن ما المنفعة إذا حملتَه إلى الأبد مغلقاً دون أن تفتحه وترى الثروة التي يحتويها: تلألؤ الأحجار الثمينة، بريق المجوهرات ولمعان الذهب؟ ماذا تنتفع إن لم تكن قادراً على أخذ بعض منه لشراء طعام أو كساء؟ إذا حملت هذا الصندوق مغلقاً فلن تربح شيئا بالرغم من امتلائه بالثروات وستبقى معرضاً للجوع والعطش والعري.

انتبه لي يا أخي، ولنطبّق هذا على الأمور الروحية. لنتصور أن هذا الصندوق هو إنجيل ربنا يسوع المسيح وغيره من الكتابات المقدسة. الحياة الأبدية والبركات التي لا تُوصف موجودة في هذا الكتاب مختوماً عليها بطريقة لا تُرى. يقول السيد: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية».

الرجل الذي يحمل الصندوق هو مَن حَفظ الكتاب عن ظهر قلب ورددّه دائماً

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

في فمه حافظاً إياه في ذاكرته كما في صندوق حجارة كريمة. ولأن كلام المسيح هو النور والحياة كما يقول هو «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة» ، هذا الصندوق يحتوي الفضائل والوصايا كالجواهر.

من الوصايا تفيض الفضائل ومنها إظهار الأسرار المخبأة في الحروف. من إتمام الوصايا يأتي تطبيق الفضائل، وبتطبيق الفضائل إتمام الوصايا. إذاً بهذه فُتح لنا باب المعرفة. والأصح انه ليس بهذه فُتح لنا الباب إنما بالقائل : «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي.. وأظهر له ذاتي». وعندما «يسكن الله فينا ويسكن بيننا» يُظهر لنا نفسه ونعاين بوعي محتوى الصندوق والكنوز المخبأة في الكتاب المقدس. لا نخدعنّ أنفسنا، ليس من طريقة أخرى لفتح صندوق المعرفة والتمتع بالأشياء الحسنة المحتواة فيه والمشاركة فيها ومعاينتها.

لكن ما هي هذه الأشياء الحسنة التي أتكلم عنها؟ إنها المحبة اللامتناهية نحو اللّه والقريب، وازدراء كل المرئيات، وكبح الجسد وكل أعضائنا التي على الأرض بما فيها الشهوة الرديئة. وكما الرجل الميت ليس له فكر يجب أن نكون دائماً بلا أفكار شريرة وشهوات وأحاسيس هوى. يجب أن لا نحس طغيان واضطهاد الشر بل أن نعي فقط وصايا مخلصنا المسيح. يجب أن نفتكر فقط بخلود المجد الإلهي وعدم انتهائه، وبمملكة السماء وبتبني اللّه لنا من خلال الروح القدس. نحن أصبحنا أبناءً بالتبني والنعمة نحن «ورثة اللّه ووارثون مع المسيح» ونحن نكتسب فكر المسيح ومن خلاله نرى اللّه والمسيح نفسه ساكناً فينا وسائراً معنا بطريقة ممكنة المعرفة.

كل هذه الأشياء ممنوحة للذين يسمعون وصايا اللّه ويعملون بها.انهم يتمتعون لا نهائياً بهذه الأشياء الثمينة التي فوق الوصف من خلال فتح الصندوق الذي تكلمنا عنه ، أي رفع الغطاء عن أعين فكرنا ومعاينة الأشياء المخبأة في الكتاب المقدس. أما الآخرون الذين تنقصهم معرفة واختبار الأشياء التي تكلمنا عنها فلن يتذوقوا حلاوة ما في الكتاب المقدس ولا الحياة الأبدية الصادرة منه لأنهم يتكلون فقط على دراسة الكتاب. إضافة إلى ذلك، هذه الدراسة سوف تدينهم عند انتقالهم من هذه الأرض أكثر من الذين لم يسمعوا بالكتاب المقدس مطلقاً. بعض أولئك يخطئ بجهله ويحرّف الكتاب المقدس عندما يفسره بحسب شهواته. هم يريدون أن يمدحوا أنفسهم كأنهم قادرون على الخلاص بدون التقيد الصحيح بوصايا المسيح وهكذا ينكرون قوة الكتاب المقدس.

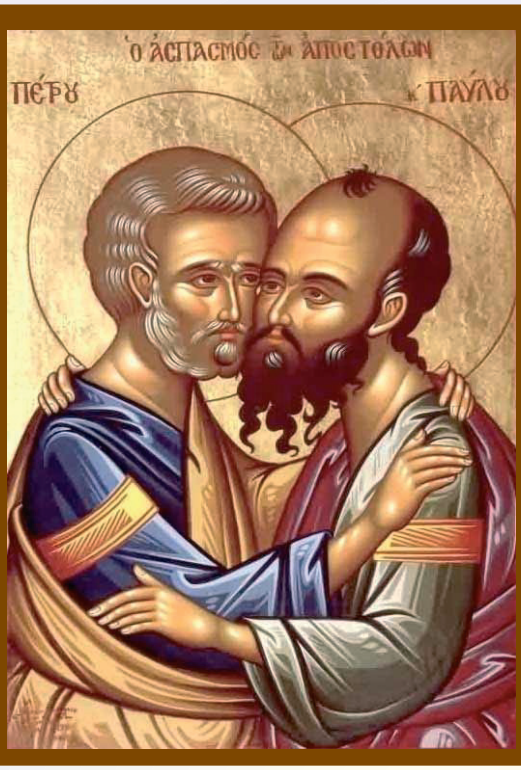

خطاب مدائحي لهامتيّ الرسل بطرس وبولس

للقديس يوحنا الذهبي الفم

السماء والأرض اليوم تتنافسان في ذكرى الرُسل الإحتفاليّة. القوّات السماويّة من جهة بأصوات المديح تُشيد بوجع تعليمهم وكأنّ بهم ينكشف سرّ التدبير الإلهيّ كما يقول بولس: لكي تُعرَف الآن حكمةُ اللّه المتنوّعة الأشكال بالقوّات والسلاطين في السماوات عن طريق الكنيسة. والناس على الأرض من جهة أخرى يندفعون لمديح هامتي الرسل بحقّ واجب، مؤدّين لهم الإكرام لأنّهم جعلوا البشرَ ينعمون عن طريقهم بسبُل الخلاص.

* * *

مَنْ الذي يفوق على بطرس ؟ مَن الذي يُضاهي بولس ؟ اللذين بالعمل وبالكلام تغلّبا على كلِّ خليقة في السماء وعلى الأرض ، المُرتبطَيْن بتراب الجسد والكائنين بحماية الملائكة. ماذا نقول عن معلّمَيْ الخليقة العلويّة والسفليّة ؟ لا أجد كلمةً واجبةً في مديح مَن مَدَحَ جنسنا ، اللذَيْن جازا كلَّ ماء ويابسة ، اللذين اقتلعا جذور الخطايا ، ووضعا بذورَ التقوى في قلوب الناس الجاحدين: بطرس معلّمُ الرسل ، بولس العارف كلياً بتدبير القوّات العلويّة ، بطرس ضابطُ اليهود ناكري الجميل وبولس تعزيةُ الوثنيين.

الصيد العقلي :

أنظر إلى حكمة السيّد الفائقة ! انتُخب بطرس من بين الصيّادين. أمّا بولس فمن عاملي الخيم. ولم يفعل اللّه ذلك عن غير قصد : إذ إنّ الشكلَ من هاتين الصنعتَيْن ، أمّا الجوهر فهو نادرٌ جداً ، هذا لأنّ الاختيارَ إلهي.

لقد غرق في العمق مجدُ اليهود فالتجأ السيّد إلى الصيّاد لكي يغوصَ أعماقَ البحر العقليّة قائلاً له : إذهبْ إلى البحر وألق الصنارةَ وخُذ أوّلَ سمكة صاعدة ، إفتح فمها فتجد درهماً (إستاراً)، البحرُ هنا إشارة إلى رأي اليهود المتقلْقلْ. الصنارة تعني كلامَ التعليم الحاذق. السمكة هي النّاموس وفتح الفم يشير إلى تفسير الناموس أمّا الدرهم فيعني الحكم عليه روحياً. أمّا بولس العامل في صنعة الخيم فقد تناول بيديه الأمم كلَّها لكي يُلبسهم رداءَ الناموس والنعمة ، الرداء الجلدي الأحمر القرمزي اللون المصبوغ بالماء والدم القاطرين من جنب السيّد. لقد سَمِعَ هو أيضاً صوتَ الرب الهاتف له: إني مُرسلٌ إيّاكَ إلى أقطار الأمم بعيداً.

الثنائيّة المغبوطة :

يا لها من ثنائيّة مُغبّطة ! الحائزة ثقة كلّ العالم : **بطرس عنوان الأرثوذكسيّة** ، العظيمُ في تفسير أسرار الكنيسة ، مُرشد المسيحيين الذي لا غنى عنه ، ذخيرة القوّات العلويّة ، الإنسانُ الذي كرّمه السيّد. **بولس الكارز الكبير بالحقيقة** ، فخرُ المسكونة ، الإنسانُ السماوي والملاك الأرضي، مجدُ الكنيسة. النسرُ المحلّق في الأعالي ، معزفة الروح ، آلة السيّد ، خادم المسيح اليَقظ. بولس وبطرس الزوج الثوري للكنيسة ، التجارة الرابحة للمسكونة ، الحاملان صليبَ المسيح على كتفيهما بدل النير ، الكاملان الأقوالَ الكتابيّة المقدّسة بدل الطوق ، ونعمة الروح القدس بدل الذخيرة المتفجّرة. بولس وبطرس مُبهجا الكنيسة في كل يوم ، الخزانة السيّديّة ، مضافة المسكونة ، آنية الروح ، توضيح الثالوث الأقدس مفسّرا تدبير الكلمة الإلهي.

بطرس عُشقي الخاص وبولس الإناء المختار. بطرس هيكل اللّه. بولس فم المسيح، قيثارة الروح ، مُلامس السماوات وراسمُ كل ما في العالم بالسيّد ، الذي أوصلَ كلمة الإنجيل من أورشليم حتى إيطاليا والايليريكون ، المسافر الدؤوب ، الممتلىء نعمةً إلهيّة ، الذي بشهادة الربّ يحمل اسمَه أمام المسكونة كلّها ، المجتازُ السماءَ الثالثة

الداخل إلى الفردوس ، الصاعدُ على كرسي السيّد غير المُدرَك ، السامعُ أسراراً لا يُنطَق بها.

وماذا نقول عن **بطرس** ؟ مشهد الكنيسة العَذب ، ضياء المسكونة ، الحمامة البريئة الطاهرة ، **الرسولُ الحار** والماء الحار بالروح ، الملاك الإنسان ، صخرةُ الإيمان الصلدة ، فكرُ الكنيسة الوقور ، ومن فم السيّد الحاملُ مفاتيحَ ملكوت السماوات ... وماذا أقول أيضاً لقد مدحكما السيّد قائلاً: أنتم نور العالم ، الأقدر من الملوك ، الأقوى من الجنود ، الأكثر ثمراً من الأغنياء ، الغالبان كل فلسفة ، الأفهَم من الخطباء ، المتحلّيان باللآقنية والمالكان كل شيء. أنتما صَبر الشهداء ، تقويم البطاركة ، جهاد النسّاك ، مكلّلا العذارى ، جالبا السلام للمتزوّجين ، ضابطا الظالمين ، محكّما الجهّال ، حماية الملوك ، سورُ المسيحيين ، أعداء البربر ، اللذان يسدّان أفواه البِدَع ويُميتان أهواءَ الجسد ، يُهلكان زمرة الشياطين ، يحطّمان مذابح الأصنام ، الوارثان كلَّ ما في السماء وعلى الأرض ، الحاملان مفاتيح السماء والحاصلان على سلطان الحلّ والربط لخطايا الأنام.

يا له من عَجَب فريد ! يا لها من حكمة لدى الأميّين ! لقد شدّد بطرس بظلّه المخلِّع ، وحلّ اقتدارَ الموت ، وبولس بثيابه شفى الأمراض وطرد الشياطين.

أنتما حاويان في وسطكما أمَّ الإله ، حائزان على الروح الذي يفوق كل روح صدّيق: بولس طائر الكنيسة الذي لا يهدأ وبطرس مُغرّد المسكونة الذي لا يتوقّف. عمودا الكنيسة ، مُنيرا المسكونة الكبيران . . .

إفرح يا بطرس صخرة الإيمان

إفرح يا بولس فخرَ الكنيسة

إفرح يا بطرس قاعدة الأرثوذكسيّة

إفرح يا بولس اهتمامَ كل الكنائس

إفرح يا بطرس جمالَ المسكونة

إفرح يا بولس مدخَل الفردوس

إفرح يا بطرس دليلَ ملكوت السماوات

إفرح يا بولس مرفأ المشتّتين الأمين

إفرح يا بطرس مستحقَّ المدير الكثير من الرب

إفرح يا بولس مدبّر المواهب الوافرة

إفرح يا بطرس الحارّ بالروح القدس

إفرح يا بولس البريد السريع

يا من أنارا العالم كلّه بالكرازة وتحمّلا الضيقات الكثيرة من أجلها. في السجن يُقفل عليكما ، من اليهود تُزدران ، من البربر تُساقان ، من الملوك تُعذّبان ؛ لم يُسمح لكما بالتنفّس ومع ذلك لم تتوقّفا عن التعليم ؛ لم تستطيعا تحريكَ أعضاء جسمكما من القيود ومع ذلك حلّيتما قيودَ المسكونة على يدكما وكم تبدّد ضبابُ الضلال عن الأرض. كم تفتّتت كلُ عبادة كاذبة. بكما اقتُلع الزؤان الكثير من الحنطة فأظهرتما بالتعليم طهارة الكنيسة.

أيَّ شكر إذاً يمكن لنا أن نقدّم لكما لمثل هذه الأتعاب الكثيرة ؟ أذكركَ يا بطرس وأرتعد ، وأنتَ يا بولس أذكركَ أيضاً فينتابني البكاء. ماذا أقولُ إذاً وبماذا أتكلّم عن شدائدكما ؟ كم من السجون قدّستما ! كم من السلاسل بيّضتما ! . . . كيف حملتما المسيح ؟ كيف أبهجتما الكنائس بالكرازة ؟ مباركة أعضاؤكما التي تخضّبت بالدم من أجل الكنيسة. لقد تشبّهتما بالمسيح في كل شيء. في كل الأرض خرج صوتكما وفي كل المسكونة انبثّ كلامكما ! لقد جَعَلَ المسيحُ بكما الكنيسة عروساً لا عيب فيها. لم تظهر هكذا لا قبلكما ولا بعدكما. من يتجاسر على التعليم خارج تقليدكما ؟ لقد أتممتما كلَّ تعليم وبصبركما أبعدتما كل فساد. حسبتما أنفسَكما لعنة من أجل ربح العالم.

بماذا نُكافئكما على كل هذه الخيرات ؟ اليوم ذكرى جهادكما. اليوم الاحتفالُ باستشهادكما من أجل المسيح. اليوم نبتهج كلّنا مكرّمين لبقاياكما المقدّسة : بطرس يا من تمتّع بخشبة صليب المسيح وأراد أن يُصلَب على شبه معلّمه منكساً رأسه إلى أسفل وكأنّ من الأرض يفتح باب السماء. مباركةٌ المسامير التي اخترقت أعضاءَك يا من أسلَم نفسه بجرأة بين يدي السيّد. يا من خدَمَ الكنيسة العروس بكل غيرة في المسيح ... الحارُّ بالروح ، الرسول الأمين لسيّد الخليقة.

إفرح يا بولس يا من قُطعت هامته المغبّطة بالسيف ! الإنسانُ غير الموصوف. ما هذا السيف الذي اخترق عنقك المميّز ؟ آلةَ السيّد العجيبة في السماء والمُرتَعد منها على الأرض. لقد أضحَى لنا السيفُ بمثابة إكليل ، ومسامير بطرس بمثابة حجارة كريمة تزيّن الاكليلَ وتطهّر جبلتنا من الخطيئة.

لكن أيَّ مديح نقدّم لكما ؟ أي كلام يستطيع أن يَصف صبرَ جهادكما. لا من كلام أيّها الرُسل المكرّمون ولا من عقل يستطيع أن يقدّم لكما الشكرَ الواجب. نفتقر لكلّ هديّة . . . لا نستطيع أن نفي الدين. لكن لو استعرْنا منكما تلكَ الأصوات المغبوطة لصرخنا :

إفرحا يا بطرس وبولس الجسدان في نفس واحدة ! إفرحا وابتهجا في الربّ على الدوام ! تضرّعا من أجلنا باستمرار . . . لنحظى نحن أيضاً بالخيرات الأبديّة في المسيح يسوع ربّنا الذي يليق له المجد والعزّة والإكرام والسجود مع أبيه الذي لا بدء له وروحه الكليّ قدسه الصالح والصانع الحياة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

الكهنة يلدوننا لحياة خالدة مستقبلة. وآباؤنا الجسديين يلدوننا لحياة حاضرة فانية. وأن والدينا (الجسديين) لا يعرفون أن يُخَلصوا نفوسنا من المرض والموت، ولكن الكهنة يستطيعون أن يُخَلصوا نفوسنا من المرض والموت ، ويعرفوا أن يَصفوا العلاج ، ليس للكهنة مُهّمة غفران الخطايا فقط، وتجديدنا بماء المعموديّة ، بل لَهم سلطان ترك الخطايا التي نرتكبها بعد المعمودية (في سرّ الإعتراف)

«أمريض أحدٌ فيكم فليدع قسوس الكنيسة فيُصلّوا عليه، ويدهنوه بزيت باسم الرب ، وصلاة الإيمان تشفي المريض ، والربّ يقيمه ، وإن كان فعل خطيئة تُغفَر له» (يع١٤:١٥) (على أنّ المريض يعترف بخطاياه قبل أن يُمسَح بالزيت) ـ القديس يوحناالذهبي الفم .

تفسير القدّاس الإلهيّ

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

* قبلة المحبّة

عند دعاء الشمّاس "لنحبّ بعضنا بعضاً" ، كان جواب المؤمنين في القرون الأولى عبارة عن : قبلة المحبّة. وسط الاجتماع الليتورجي ، بين المشتركين في العشاء ، "تتم القبلة المقدّسة".

القبلة المتبادلة بين المؤمنين ليست رمزاً ليتورجيّاً بسيطاً ، بل عملاً شريفاً. إنّها خبرة ليتورجيّة. القبلة الليتورجيّة ليست صورة عن المحبّة التي توحّد المؤمنين وحسب ، بل خبرة هذه الوحدة. إنّها مصالحة أولئك الذين يقدّمون العبادة التي تربطهم بعضهم ببعض ، وبكلمة اللّه. (القديس مكسيموس المعترف).

هذا الإلتئام الإلهيّ ، التئام الكلّ حول المسيح ، والإشتراك في جسد المسيح الواحد ، يُعبَّر عنه بقبلة المحبّة: "فلنتذكّر إذاً ... يا أحباء، القبلات المقدّسة والتقبيل الرهيب بين بعضنا البعض. لأنّ هذا التقبيل يوحّد أذهاننا ويجعل منّا جميعاً جسداً واحداً". والتقبيل الليتورجي هو إظهار للمحبّة: "التقبيل علامة أنّ النفوس اتّحدت معاً ، وأنّها أقصت كلّ ذكر للسوء" (القديس يوحنا الذهبي لفم).

بتبادل القبلة ، نتنعّم بمحبّة إخوتنا : "بالقبلة الإلهيّة تعبير عن تماهي الكلّ مع الجميع ، وقبل كلّ شيء ، كلّ واحد مع نفسه ومع اللّه. وهذا التماهي يرتكز على العزم الواحد والهاجس الواحد والمحبّة الواحدة". المحبّة كما يقول الذهبي الفم ، "تَبني، تجمع الكُل ، وتجعل تجانساً بينهم».

القديس يوحنا الذهبي الفم.

العزم الواحد مع التوافق ، يعبَّر عنه بقبلة المحبّة: "القبلة الروحيّة المتبادلة بين الجميع ، هي رسم سابق لتوافق الجميع فيما بينهم ، وتعبير الهاجس الواحد والفكر الواحد. هذا الرَسم سيتحقّق في زمن استعلان الخيرات المستقبليّة التي يتعذّر وصفها ... بهذا التطابق ، أي التوافق في الفكر الواحد ، يجعل المؤمنون كلمة اللّه مقيماً فيهم". (مكسيموس المعترف).

كلّ حركة ، كل حدث داخل القدّاس الإلهيّ، هو الحدث نفسه في الواقع اليوميّ وفي تجلّيه. في القدّاس الإلهيّ تتقدّس المادة ، والجسد يغدو روحيّاً. القبلة تأخذ أبعاداً جديدة: "نحنُ هيكل اللّه: لذا عندما نقوم بتبادل القبلة فيما بيننا فإنّنا نقبّل أبواب الهيكل ومدخله" (القديس يوحنا الذهبي الفم).

الشمّاس: الأبواب الأبواب ! بحكمة لنصغِ.

الشعب: أومن بإله واحد ، آب ضابط الكُلّ ، خالق السماء والأرض ، كلّ ما يُرى وما لا يُرى ، وبربٍّ واحد يسوع المسيح ، ابن اللّه الوحيد ، المولود من الآب قبل كلّ الدهور ، نور من نور ، إله حقّ من إله حقّ ، مولود غير مخلوق ، مساوٍ للآب في الجوهر ، الذي به كان كلّ شيء ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس ، وصلب عنّا على عهد بيلاطس البنطيّ. وتألّم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب ، وأيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات ، الذي لا فناء لملكه ، وبالروح القدس ، الرب المحيي ، المنبثق من الآب ، الذي هو مع الآب والإبن مسجودٌ له ومُمَجّد ، الناطق بالأنبياء ، وبكنيسة واحدة جامعة مقدّسة رسوليّة ، واعترف بمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا ، وأترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي . آمين.

نحو مشاهدة العقليات

ها قد أُغلقَت أبواب الكنيسة بعد صَرف الموعوظين. ومن هذه الساعة يقف الشمامسة ومساعدوهم عند الأبواب بحيث لا يتركون مجالاً ، ساعة الأنافورا المقدّسة ، للمؤمنين للخروج ، ولا يسمحون لغير المؤمنين والهراطقة بالدخول. ونقرأ في كتاب الأوامر الرسوليّة: "لتُحرَس أبواب الهيكل ، لربّما دخَل من هو غير مؤمن. وإذ حَضَر أحد الأخوة أو الأخوات من منطقة أخرى حاملاً رسالة توصية فليفحص الشمّاس بشأنهم ... لربّما كانوا مدنّسين بهرطقة ما".

بحسب القديس مكسيموس ، إغلاق أبواب الكنيسة يعني إغلاق الحواسّ وابتعاد الذهن عن الأفكار الأرضيّة. هكذا إذ يتحرّر الإنسان من حقائق عالم هارب ، يبلغ إلى مشاهدة الحالات الإلهيّة. "الكلمة" تقود النفس نحو "مشاهدة العقليّات" (مستاغوجيا ص ١٨٨).

وضمن المنظور الأخروي للعالم ، إغلاق الأبواب "يكشف عن واقع الماديّات العابر وعن ولوج المؤمنين المستحقّين إلى العالم العقلي ، أي إلى خدر الختَن ، خدر المسيح ، الذي سيحصل بعد ذاك الفصل الرهيب (فصل الخراف عن الجداء) وقرار القاضي الصارم. (القديس مكسيموس المعترف).

* * *

ودستور الأيمان هو تعداد لهبات اللّه ، واعتراف الإنسان الشكريّ. أمام الهبات الإلهيّة التي اقتبلناها من الربّ ، ما من شيء بوسعنا القيام به سوى "الإعتراف بإحساناته العظيمة هذه ، وشكره لأجلها" (القديس يوحنا الذهبي الفم).

الإعتراف بدستور الإيمان، كما يقول القديس مكسيموس ، "هوتصريح سابق لسرّ الشكر الذي سنرفع في الدهر الآتي لأجل الأسباب والطُرق العجيبة التي ظهرت فيها عناية اللّه الكليّة الحكمة ، نحونا ، والتي بها خَلُصنا. وكما يلاحظ أحد دارسي القديس مكسيموس أنّ "الإعتراف الأبدي بدستور الإيمان ... سيكون الدليل أنّ محبّته نحونا لم تبقَ دون نتيجة".

٥) الأنافورا المقدّسة

الشمّاس: لنقف حسناً لنقف بخوف. لنصغِ. لنقدّم بسلام القربان المقدّس.

الشعب: رحمة سلام. ذبيحة تسبيح.

* لنقف بخوف

تبدأ الأنافورا المقدّسة من هذا الموضع من القدّاس الإلهيّ ، وبالتالي يجدر بنا "أن نسمو بأفكارنا، تلك الأفكار التي تدبّ أسفل على الأرض". وتبعاً **للذهبيّ الفم** ، فالشمّاس يقول هذه الطلبة "لكي نكون حاضرين أمام اللّه بنفس مستقيمة ، بعد أن تخلّصنا من الشلل الروحيّ الذي تحمله معها الإهتمامات المعيشيّة". ويضيف: "إسعَ إلى إدراك في حضرة من أنت منتصب أمامه، وبصحبة من سوف تدعو اللّه: بصحبة الملائكة، الشروبيم ... فلا ينبغي أن يشترك أحد على الإطلاق في هذه التسابيح الشريفة السريّة باستعداد وعزم فاترين . . . ولكن بعد أن يُبعد كلّ الأفكار الأرضيّة عن ذهنه ، وينقل ذاته كليّاً إلى السماء ، كما لو كان منتصباً قُرب عرش المجد نفسه ومحلّقاً مع السرافيم ، عندها فليقدّم التسبيح الكليّ قدسه إلى إله المجد والعظمة. لهذا السبب يدعونا الشمّاس أن نقف بانتباه في هذه الساعة ... أي نقف **بخوف ورِعدة ، بنفس صاحية ساهرة**".

القداس الإلهيّ هو عبارة عن "**أنافورا**". إنّه "أنافورا مقدّسة": رفع المؤمنين وارتفاعهم مع تقدمتهم إلى السماء. لا تُقدِّم القرابين المكرّمة فوق المائدة الأرضيّة ، بل تُرفع إلى فوق ، إلى المائدة الفائقة على السموات ، يرفعها الكاهن ، وهو يدعونا في ما يلي أن نرتفع جميعاً إلى مكان السلام ، ذلك السلام الذي لا ينال منه شيء. أمّا الإنتقال إلى هذا المكان والولوج إليه ، فينبغي أن يتمّ "بسلام الذي هو الحاجة المفروضة لسلام وهدوء عظيمين" ، في تلك الساعة، في ذلك المكان. (القديس يوحنا الذهبي الفم) فحينما تُقدّم القرابين المكرّمة فوق المذبح السماويّ، تقف قوّات ملائكيّة بخوف ورعدة وتحجب وجهها بوقار. إنّها تسبّح الألوهة المثلّثة الشموس.

* رحمة سلام ، ذبيحة تسبيح

عندما يدعو الشمّاس المؤمنين إلى تقديم القربان المقدّس بسلام ، يُجيب هؤلاء: بالحقيقة نحن نقدّمها بسلام ومحبّة نحو الربّ ونحو إخوتنا. نقدّم "رحمة سلام" ، نقدّم "رحمة"، ومحبّة وهذه المحبّة هي ثمر السلام. "لأنّه عندما لا يُعكّر النفس أيٌّ من الأهواء ، فلا شيء يمنعها أن تكون ممتلئة بالرحمة والمحبّة.(القديس نيقولاوس كاباسيلاس).

ويقول لنا اللّه ، بالنبيّ هوشع : إنّه من الأفضل أن نقدّم محبّتنا نحوه ونحو إخوتنا بدل تقديم ذبيحة خُلوّاً من محبة : "أريد رحمة لا ذبيحة". لا يُعقَل أن نقدّم ذبيحة تمجيد للّه قبل أن نقدّم ذبيحة محبّتنا. وكما يكتب القديس باسيليوس الكبير ، فالغاية الوحيدة من تقديم الذبائح هي الرحمة والمحبّة. والذبيحة المُقَدّمة بمحبة هي ذبيحة مرضيّة عند اللّه. إنّها ذبيحة تُمَجِّد محبّته وتُسَبِّحها: "ذبيحة تسبيح".

وأبناء الملكوت المجلّلين بالسلام يقدّمون "رحمة سلام ، وذبيحة". هذه الذبيحة يطلبها اللّه منّا من خلال مرنّم المزامير: "أذبح لَكَ حمداً" ، "أي ذبيحة شكريّة ، تسابيح شريفة وتمجيداً لأجل أعماله. إليك ما يقصد مرنّم المزامير: أن تعيش على نحو يتمجّد فيه ربّك. هكذا علّمنا المسيح: «فليضيء نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات ...» لتكن حياتك أيضاً حياة يتمجّد بها سيّدك، عندها ستقدّم الذبيحة الواجبة والكاملة". (القديس يوحنا الذهبي الفم).

القديس باسيليوس الكبير

هذه هي الذبيحة التي يرغب بها الربّ ، أكثر من ألوف ذبائح حيوانات: "أقدّم لكَ أنتَ أيّها الإله الكامل وغير المحتاج إلى شيء، ذبيحة التسبيح ، أفضل من آلاف محرقات". فالربّ يستحسن بالحريّ ذبيحة تمجيده ، لأنّ هذه الذبيحة هي الطريق المؤديّة بالإنسان إلى الخلاص: ذابح الحمد يمجّدني ، والمقوِّم طريقه، أريه خلاص اللّه". (القديس باسيليوس الكبير).

الكاهن: نعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبّة اللّه الآب وشركة الروح القدس لتكن معكم جميعاً.

الشعب: ومع روحك.

يتبع في العدد القادم

الوصايا العشر في الناموس المسيحي
للقديس غريغوريوس بالاماس

القديس غريغوريوس بالاماس

١) الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ (تثنية٦:٤). الرب، إلهك، هو رب واحد وهو معروف كآب، وابن وروح قدس. الآب غير مولود. الابن مولود ككلمة الآب، من غير ابتداء سرمدي وبلا هوى. لقد سُمّي المسيح لأنّه مُسِحَ من ذاته الطبيعة البشرية التي أخذها منّا. يخرج الروح القدس من الآب، ليس بالولادة بل بالانبثاق. ربنا هو الإله الوحيد. إنّه الإله الحقيقي، الرب بثلاثة أقانيم، الذي لا ينقسم بالطبيعة ولا بالمشيئة ولا بالقوة، ولا بأي صفة من صفات الألوهة.

أحبب فقط هذا الإله الثالوثي واعبده وحده، بكل فكرك وبكل قلبك وبكل قوتك. احفظ كلماته ووصاياه في قلبك حتى تنفّذها وتدرسها وتردّدها في جلوسك، ومسيرك وفي سريرك وعندما تنهض.

إرهب منه وحده. لا تنسَه هو ولا وصاياه.وهكذا هو يعطيك قوة لتتمّ مشيئته، لأنّه لا يطلب منك أي شيء سوى أن تكون مكرّساً له وتحبّه وتسير على دروب وصاياه. إنّه فخرك وإلهك.عندما تعلم أنّ الملائكة السماويين هم بلا هوى وغير منظورين، وأن الشيطان الذي سقط من السماء هو شرير جداً وذكي وقوي ومحنّك في خديعة الإنسان، لا تظنّ أنّ أياً منهم يساوي اللّه في الشرف. وعندما ترى أيضاً عظمة السماء وتعقيدها، لمعان الشمس، بهاء القمر، نقاوة النجوم الأخرى، سهولة تنشق الهواء، كثرة منتجات الأرض والبحر **لا** تؤلّه أيّاً منها. إنّها كلّها خلائق الإله الواحد، وهي تخضع له وهو بكلمته خلقها كلّها من العدم.«لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ» (مزمور ٣٢:٩).

إذاً وحده رب الكون وخالقه أنت تمجّده كإله. تعلّق به بمحبة وتُبْ إليه نهاراً وليلاً عن كل خطاياك الطوعية والكرهية، لأنّه طويل الأناة ورحيم جداً، صبور، وصانع برّ إلى الأبد. لقد وعد الذي يحترمه ويعبده ويحبه ويحفظ وصاياه، وهو يعطي بحسب وعده، بالتمتّع بالملكوت السماوي الأزلي والحياة التي بلا ألم ولا موت والنور الذي لا يغرب. لكنّه أيضاً إله غيور وحاكم عادل ومنتقم رهيب. لقد هيّأ جحيماً أبدياً ، ناراً لا تُطفأ ، ألماً لا ينقطع ، حزناً لا عزاء له ، ومكاناً مظلماً ضيقاً للخائن الشرير الأول ، أي الشيطان، وقد فرض كل هذا على غير التقي والذي لا يطيع وصاياه وينتهكها، ولكل الذين انخدعوا بالشيطان وتبعوه، ما أن ينكروا صانعهم بأعمالهم وكلماتهم وأفكارهم.

٢) «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ» (خروج ٢٠:٤). لا تصنع لك صنماً ولا ما يشبهه، لأن كل هذه هي خلائق الإله الوحيد الذي في الأزمنة الأخيرة، بعد أن تجسّد في رحم بتولي، ظهر على الأرض وأقام بين البشر. وعندما تألّم ومات وقام لخلاص البشر، صعد بالجسد إلى السماء وجلس في الأعالي عن يمين اللّه.

بجسده سوف يأتي أيضاً في مجد ليدين الأحياء والأموات. إذاً، من المحبة له، وهو الذي صار إنساناً لخلاصنا، اصنعْ له أيقونة. وعبر الأيقونة، تذكرّه واعبده. من خلال الأيقونة، ارفع عقلكَ إلى جسد المخلَص المبجّل، الجالس في الأعالي عن يمين الآب. اصنع أيضاً أيقونات للقديسين، وأكرمهم أيضاً، ليس كآلهة، لأنّ هذا محرّم، بل بسبب علاقتك بهم، وميلك إليهم، والشرف الكبير المتوجب لهم، فيما فكرك سوف يمضي إليهم من خلال الأيقونة. هذا ما فعله موسى: لقد صنع أيقونات للشاروبيم ووضعها في قدس الأقداس، ليمجّد لا المخلوقات بل من خلالها خالق العالم، أي اللّه (خروج ٢٥:١٨–١٩).

وهكذا أيضاً لا تعبد أيقونات المسيح ولا القديسين بل من خلالها اعبده هو الذي بعد أن خلقنا أولاً على صورته، ارتضى لاحقاً بسبب إحسانه الذي لا يوصف أن يتّخذ صورة بشرية ويصير موصوفاً بحسبها.

أكرمْ ليس فقط أيقونة السيد بل أيضاً رسم صليبه لأنّه رمزٌ كليّ القدرة وتذكار لانتصار المسيح على إبليس وكل الأجناد الشيطانية. لهذا السبب عندما يرون رسم إشارة الصليب يغلبهم الرعب ويهربون. حتى قبل الصلب، مَجَّد الأنبياء إشارة الصليب التي أنجزت معجزات عظيمة. وأيضاً عند المجيء الثاني لربنا يسوع المسيح الذي سُمِّر على الصليب والذي سوف يأتي ليدين الأحياء والأموات، سوف تتقدّمه الإشارة المرهوبة بقوة ولمعان شديد. مَجِّد الصليب اليوم حتى تحدّق إليه بشجاعة لاحقاً وتتمجّد معه.

وَقِّر أيضاً أيقونات القديسين لأنّهم **صُلبوا** مع السيد، راسماً على وجهك إشارة الصليب ومستحضراً إلى فكرك مشاركتهم في آلام المسيح. أكرم أماكن إقامتهم وكل ذخيرة من عظامهم، لأنّ نعمة اللّه لم تنفصل عنها، بالتحديد كما أن اللّه الآب لم ينفصل عن جسد المسيح المكرَّم خلال موته المعطي الحياة.

إذاً بالتصرّف هكذا وبتمجيد الذين مجّدوا اللّه، لأنّهم ظهروا بأعمالهم كاملين بمحبته، سوف تتمجّد معهم باللّه وسوف تنشد مع داود: «أكرمتُ محبّيك يا ربّ».

٣) «لا تحلف باسم الربّ باطلاً» (خروج ٢٠:٧) لا تحلف باسم الربّ باطلاً عن طريق القسم بشكل كاذب أو لأي سبب دُنيَوي آخر، أو خوفاً من أحد ما، أو من الخجل أو لربح خاص. إن الإخلال بقَسَم هو إنكار للّه. إذاً لا تُقسم أبداً.تجنَّب كلياً القَسَم لأنّ من القَسَم يأتي الإخلال بالقَسَم الذي يغرَب الإنسان عن اللّه ويجعل الحانث بقسمه مخالفاً للناموس. إذا كنتَ دائماً تقول الحقيقة، سوف يصدّقك الناس وكأنّك تحلف. وإذا صار صدفة أنّك أقسَمت، هو أمر ينبغي أن تصلّي كي لا يَحدث، لكن بما أنّه أمر متّفق مع الشريعة الإلهية، نفّذه وكأنّه شرعي، لكن اعتبر نفسك مُلاماً لأنّك أقسَمت.

بالإحسان والتضرّع والحزن وحرمان الجسد، التَمسْ الرحمة من اللّه الذي أوصى بألاّ تُقسم (متى٥:٣٤). أمّا إذا أقسَمت على شيء غير قانوني انتبه ألاّ تنفّذ قَسَمَك لمجرّد أنّك أقسَمت، حتى لا يحسبك الربّ مع هيرودس قاتل النبي الذي قطع رأس السابق الكريم كي لا يكسر قَسَمهُ (متى١٤:٧-٢١). الأفضل لك أن تكسر ذلك القَسَم غير الشرعي واتّخذ لنفسك قانوناً بألاّ تقسم أبداً، وبأن تسعى إلى رحمة اللّه مستعملاً العقاقير المذكورة سابقاً وبجهاد أكثر مع دموع.

٤) تذكّر يوم السبت لتقدسه يُسَمّى أحد أيام الأسبوع **الأحد**، لأنّه مخصّص للرب الذي قام من الموت في ذلك اليوم مُظهراً قيامة كل الناس ومثبتاً إياها (في المجيء الثاني) حين عندها سوف يتوقف كل عمل بشري.إذاً خصّص الأحد للرب (خروج ٢٠:٨). لا تَقُم بأي عمل أرضي غير ما هو ضروري. وكل الذين يعملون لك أو يعيشون معك فليرتاحوا حتى أنّكم جميعاً تمجّدون الذي اشترانا بموته ومن ثمّ قام مُقيماً معه طبيعتنا البشرية.

إحفظ في فكرك الحياة الآتية، لكي تتأمّل بكل وصايا الرب وقوانينه وتتفحّص نفسك حتى إذا كنتَ قد انتهكت بعض الأشياء أو أهملتها يمكنك أن تُصحّح نفسك في كل شيء.

في هذا اليوم أيضاً اذهَبْ إلى هيكل الرب واشترك في اجتماع العبادة وشارك بإيمان صاف وضمير نقي في جسد المسيح ودمه. إبدأ حياة أكثر قداسة، مجدداً نفسك ومهيئاً إياها لتقبّل خيرات الحياة الآتية. من أجل هذه الخيرات لا تسئ استعمال الأشياء والاهتمامات الأرضية في الأيام الأخرى أيضاً. يوم الأحد، كونك مكرَّساً للّه، تحاشَ بشكل قاطع كلّ هذه الاهتمامات ما عدا الضرورية منها التي يستحيل عليك العيش من دونها. وهكذا، بما أنّ الرب ملجؤك عليك ألاّ تذهب إلى أي مكان، وألاّ تضرم نار الأهواء ولا تحمل عبء الخطايا. إذاً، كرِّس «**يوم السبت**» (خروج ٢٠:٨) **أي الأحد**، للّه حافظاً إياه بامتناعك عن كل ما هو شرير. وإلى الآحاد عليك أن تضيف كل الأعياد الكبيرة قائماً بالأمور نفسها وممتنعاً عن كل ما تمتنع عنه يوم الأحد.

٥) أكرم أباك وأمّك (خروج ٢٠:١٢). أكرم أباك وأمّك، لأنّ من خلالهما أتى بك الرب إلى الحياة، وهُما بعد اللّه سبب وجودك. إذاً، بعد اللّه أحببهما وأكرمهما طالما، بالطبع، محبتك لهما تساهم في محبتك للّه. إذا كانت لا تُساهم ابتعد عنهما مباشرةً. إلى هذا، إذا كانا عائقاً بالنسبة لك وخاصةً الإيمان الحقيقي الخلاصي لأنّ لهما إيمان آخر، ليس فقط عليك أن ترحل بل أيضاً أن تنكرهما مع كل مَن تجمعك به علاقة أو صداقة. عليك أن تنكر حتّى أعضاءك الشخصية وأهواءها وكلّ جسدك ومن خلال الجسد علاقتك بالأهواء لأن المسيح قال:

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.» (لوقا١٤:٢٦-٢٧ وأنظر متى١٠:٣٧).

هذه الإرشادات تتعلّق بوالديك الجسديين وأقربائك وأصدقائك. عليك أن تُكرم وتحب مَن لهم نفس إيمانك ولا يمنعونك عن الخلاص.وإذا كان يتبغي بك أن تكرم والديك الجسديين فكم بالأحرى عليك أن تكرم وتحب آباءك الروحيين. لقد نقلوك من الحياة الجسدية البسيطة إلى حياة البرّ الروحية. لقد منحوك استنارة المعرفة. لقد علّموك الحقّ. لقد أعطوك إعادة الولادة بحميم التجدد. لقد وضعوا فيك رجاء القيامة وعدم الموت والملكوت السماوي. لقد نقلوك من غير مستحق إلى مستحق للخيرات الأبدية، من الأرضي إلى السماوي، ومن الوقتي إلى الأبدي. لقد جعلوك ابناً وتلميذاً، لا لإنسان بل ليسوع المسيح **الإله-الإنسان** الذي منحك الروح القدس الذي يجعل الناس أبناء للّه والذي قال: «وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ» (متى٢٣:٩-١٠). هكذا أنت مدينَ بكل شرف ومحبة لآبائك الروحيين، لأنّ الشرف الذي تَرُده لهم يذهب إلى المسيح وإلى الروح الكلي قدسه الذي جعلك ابناً للّه، وإلى الآب السماوي الذي يعطي الحياة والوجود لكل الكائنات السماوية والأرضية.

جاهد فوق هذا لأن يكون لك طوال حياتك أباً روحياً تعترف إليه بكل خطاياك وأفكارك الشهوانية وتأخذ منه الشفاء والحلّ. لقد أُعطي الآباء الروحيون السلطة لأن يغفروا للنفوس أو ألاّ يغفروا. كلّ ما يتركوه غير محلول على الأرض سوف يكون بلا حلّ في السماء أيضاً. يحصلون على هذه النعمة والقوة من المسيح. لهذا السبب أنتَ سوف تطيعهم من دون مهاترة، حتى لا تقود نفسك إلى الهلاك. إذا كان، بحسب ناموس موسى، كلّ مَن ردّ كلام أهله يُقتَل، حتى ولو كانوا يتناقشون بأمور محرَّمة من ناموس اللّه، فكيف يكون ممكناً أن لا يطرد روحُ اللّه الإنسانَ الذي يرد كلام أبيه الروحي وكيف لهذا الإنسان ألاّ يخسر روحه؟ لهذا السبب، خذ نصيحتهم وأطعْهم إلى نهاية حياتك حتى تخلّص نفسك وتكون وارثاً للخيرات الأبدية التي لا تفنى.

٦) لا تزن (خروج ٢٠:١٤) .لا تمارس الزنا ولا الفسق حتى لا تصير عضواً للفاجرة بدلاً من عضو للمسيح فتُقطَع من الجسم الإلهي وتسقط من الميراث المقدّس وتُرمى في جهنّم. لأنّه، إذا كان بحسب شريعة موسى، ابنة الكاهن التي تُضبَط في الفسوق يجب إحراقها لأنّها عرّضَت أباها للعار ألا ينبغي بالذي ألصق هذه النجاسة بجسد المسيح أن يُحرَق في النار الأبدية؟ ليس فقط يُحرَّم

عليك أن تزني بل عليك أن تمارس البتولية، إذا أمكنك، وتكون خاصاً بالله بالكليّة وملتصقاً به بمحبة كاملة مقيماً بقربه طوال حياتك.

جاهد دائماً وبدون ارتباك لأن تحيا حياة ترضي اللّه، متمتعاً منذ الآن بالحياة المقبلة وعائشاً مثل ملاك على الأرض. البتولية هي ميزة الملائكة، وكلّ مَن يمارسها يصبح مثلهم، بقدر الإمكان، مع أنّه ذو جسد. إلى هذا، إنّه يصبح أكثر منهم، فهو يصير مشابهاً للآب الذي قبل الدهور وَلَد الابن بطريقة بتولية، كما أنّه يصير مشابهاً للابن البتولي الذي ولد قبل الدهور من الآب البتول وتجسّد في آخر الأزمنة من أم عذراء، وأيضاً هو يصير مشابهاً للروح القدس الذي خرج بطريقة لا تُوصَف من الآب وحده، ليس بالولادة بل بالانبثاق. إنّ مَن يختار البتولية الحقيقية، أي المتبتّل بالنفس والجسد، الذي يجمّل كل حواسه وفكره وعقله برونق البتولية ، يتشبّه باللّه ويتّحد به مقيماً معه زواجاً لا يَفْسُد.

إذا كنتَ لا تفضّل أن تحيا حياة بتولية، ولا أنتَ وعدتَ الرب بذلك، بإمكانك بحسب ناموس الرب أن تتخذ امرأة بالزواج. هي وحدها تساكن، وهي وحدها تتّخذ، هذا وهدفُك هو القداسة. بكل قوتك ابقَ بعيداً عن النساء. تكون قادراً على حفظ نفسك منهن إذا تلافيت المحادثات غير الضرورية معهن إذا أدَرتَ عيني جسدك وعيني نفسك عنهن، بقدر الإمكان وإذا لم تكن تجد لذة في سماع الكلمات الشهوانية ولم تّصر معتاداً على التفرّس بالوجوه الجميلة. كلّ مَن ينظر إلى امرأة بشهوة كريهة يكون قد زنا بها ولهذا هو غير طاهر أمام المسيح الذي ينظر إلى القلوب. إلى هذا، من هذا النظر الشرير يمكن للإنسان التعيس أن ينتهي مرتكباً خطيئة الدعارة بالجسد أيضاً. لكن لماذا أتحدّث فقط عن الفسق والزنا وكل النجاسة المرتبطة بالوظائف الطبيعية؟ فالإنسان يميل بشكل مخالف للقوانين إلى الأعمال البذيئة غير الطبيعية عندما يتفرّس بشكل فضولي في جمال الأجساد. إذاً، إذا قطعتَ الجذور المرّة من نفسك، فلن تجمع الثمار المميتة، بل سوف تجني الطهارة والقداسة التي تأتي معها، والتي بدونها لن ترى السيد.

٧) لا تقتل (خروج ٢٠:١٣). لا تقتل حتى لا تكفّ عن كونك ابناً للذي أقام الموتى، وحتى لا تصير بأعمالك ولداً للذي كان منذ البداية قاتلاً للإنسان. يأتي القتل من العراك والعراك من الشتم، والشتم من الغضب والغضب من الأذى أو الضرب أو السباب للآخر. لهذا السبب قال المسيح:«وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا» (لوقا٦:٢٩). إذا ضربك أحدهم لا تَردّ له الضربة. إذا شتمك أحدهم فلا ترد له الشتيمة. وهكذا سوف تنجو من خطيئة القتل، أنت والذي يؤذيك. إلى هذا، سوف تحصل على غفران خطاياك من اللّه لأنّه هو قال: «فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ.» (متى٦:١٤). في أيّ حال، إنّ مَن ينطق بالشر أو يقوم به سوف يُدان في النار الأبدية لأن المسيح قال أيضاً: «وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ» (متى٥:٢٢).

إذاً، إذا كنتَ قادراً على اقتلاع الشر وجذوره، مؤمِّناً لنفسك النعمة والبركة، مجِّد المسيح معلمنا وزميلنا في تحقيق الفضائل. من دونه، كما تعلمتَ لا نستطيع أن نقوم بأي عمل حسن. ومن ثم أيضاً، إذا كنتَ غير قادر على أن تبقى هادئاً من دون أن تغضب وجّه اللوم لنفسك لأنك غضبت واطلب المغفرة من اللّه كما من الذي سمع الأذى أو تحمّله منك. كلّ مَن لا يحس بألم الندامة على خطاياه الصغيرة، سوف يقع من بعدها في خطايا كبيرة أيضاً.

٨) لا تسرق (خروج ٢٠:١٥) لا تسرق، حتى أن اللّه الذي يعرف أعمالك السرّية لا يرد لك العقاب أضعافاً. إنّه من الأفضل لك أن تعطي سرياً مما لك إلى المحتاجين لكي تحصل من اللّه الذي يرى كلّ ما هو خفي، مئات الأضعاف مع الحياة الأبدية في العالم الآتي.

٩) «لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ» (خروج ٢٠:١٦) لا تشهد بالزور، حتى لا تكون مشابهاً للشيطان الذي ذمّ اللّه أمام حواء، وصار ملعوناً لعمله هذا. إلى هذا، من الأفضل أن تغطي على خطيئة قريبك، إلا إذا كانت تؤذي آخرين، حتى تكون مشابهاً لسام ويافث وليس لحام، وهكذا تحصل على البركة. كان سام وحام ويافث أبناءً لنوح. وفي مرة شرب نوح خمراً كثيراً وسكر وتعرّى. عندما رأى حام عورة أبيه أخبرَ أخويه بشكل هزلي. أمّا الأخوان فهما ليس فقط لم يضحكا من أبيهما بل مباشرة أخذا عباءة وسارا إلى الخلف حتى لا يريا عورة أبيهما وغطياه باحترام. عندما استيقظ نوح وعرف بما جرى، لعن حام، بينما بارك سام ويافث (تكوين٩:١٨-٢٧).

الحقّ الحقّ أقول لكم إنّ كُلّ مَن يعمل الخطيّة هو عبدٌ للخطيّة

١٠) لا تشته ما لغيرك: ينبغي بك ألا تشتهي ما لقريبك، لا ممتلكات ولا مالَ ولا مجد ولا أي شيء آخر مما له (أنظر خروج ٢٠:١٧).

لأن الشهوة عندما تنشأ في النفس، تلد الخطيئة. والخطيئة عندما تكتمل تولّد الموت. إذا لم تشته أشياء الآخرين، تبقى بعيداً عن الطمع وعن اغتصاب ما للغير. إنّه مَن الأفضل لك أن تعطي مما لك لمَن يسأل، وأن تحسن على المحتاجين بقدر ما تستطيع. إذا أراد أحد ما أن يقترض منكَ لا ترفضه. إذا وجدت غرضاً ضائعاً ردّه إلى صاحبه حتى ولو كان عدوك. وهكذا، سوف تتصالح معه وتخزي الشر بالخير كما يأمرك المسيح.

إذا حفظت كل هذه بكل قوتك وسلكت بحسب هذه الوصايا، سوف تخزن في نفسك كنز التقوى، ترضي اللّه، تنتفع منه ومن شعبه وتصير وارثاً للخيرات الأبدية التي نحصل عليها جميعنا بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ومحبته للبشر. له المجد والإكرام والسجود مع أبيه الذي لا بدء له وروحه الكلي قدسه الصالح والمحيي، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

درجات المعرفة الثلاث بحسب القديس إسحق السوريانى

الميتروبوليت إيروثيوس (فلاخوس) مطران نافباكتو

يعالج القديس اسحق السوري موضوع درجات المعرفة الثلاث في الفصول الثاني والستين إلى الخامس والستين من نسكياته. يبدأ بمقابلة المعرفة بالإيمان. فالمعرفة البشرية تتميّز بأنها «لا تقوى على فعل أي شيء ترغبه دون فحصه وبحثه والتأكد من إمكانية حصوله».

البشرية كثيراً على العقل، وهو بالغالب عقل ساقط في حالة العمل، بعد أن تخطّى حدوده الطبيعية، أي أنه عقل متسلّط حتّى على **النوس**. من ناحية ثانية، للإيمان حدود أخرى وهنا اختلافه الكبير عن المعرفة البشرية، وهنا تكمن قيمته العظمى.

يقول القديس إسحق أنّ عند استعمال كلمة «**إيمان**» نحن لا نعني «الإيمان الشفوي بالأقانيم الإلهية المميزة والمسجود لها وبطبيعة الألوهة الخاصة وبالتدبير العجيب الصائر في الإنسانية بواسطة طبيعتنا (سر التجسّد)»، ولا عن أن المسيح صار إنساناً ولا عن اتخاذ الأقنوم الثاني للطبيعة البشرية، «وإن كان هذا الإيمان سامياً جداً»، لكن المعنى الأساسي لما نسمّيه إيماناً هو «الإيمان المشرق في النفس بنور النعمة الذي يثبّت القلب بشهادة الذهن ويبقى غير متزعزع في يقين الرجاء البعيد عن كل حدس».

هذا الإيمان الروحي لا يتعلّم الأسرار بسماع الأذن بل «يُعلن، من خلال الأعين الروحية، الأسرار الخفية في النفس والغنى الإلهي المحجوب عن عيون أبناء الجسد، والمعلَن بالروح لأولئك الذين يتناولون الطعام على مائدة المسيح والذين يهذّون بناموسه».

هذا يعني أنه فيما تُكتَسَب المعرفة البشرية من خلال عمل العقل والبحث البشري، تُكتَسَب المعرفة الإلهية من خلال الإيمان. هذا الإيمان هو بالدرجة الأولى ذاك الذي يشرق في النفس من نور النعمة، وبهذه القوة يتعلّم الإنسان كل الأسرار المخبأة عن أعين الإنسان الجسدي في هذا الزمن. إذاً «الإيمان هو أكثر حذقاً من المعرفة تماماً كما أن المعرفة هي أكثر حذقاً من الأمور الحسّية». الإيمان، أي المعرفة الإلهية هو أكثر حذقاً من المعرفة البشرية.

شرح القديس إسحق الفرق بين المعرفة البشرية والإيمان. لا يمكن للمعرفة البشرية أن تتعلّم من دون تفحص بينما «الإيمان لا يطلب أكثر من عقل طاهر بسيط بعيد عن كل غش وعن كل بحث جدلي... بيت الإيمان يُبنى بفكر الأطفال وقلب بسيط». العقل هو مركز المعرفة البشرية، بينما القلب الطاهر هو مركز الإيمان. تبقى المعرفة البشرية ضمن سور الطبيعة، أمّا الإيمان «فيسلك طريقاً يفوق الطبيعة». هذا يعني أن المعرفة البشرية هي حالة بشرية محضة، تعمل ضمن حدود الطبيعة، بينما الإيمان حالة تفوق الطبيعة. على المنوال نفسه، المعرفة البشرية عاجزة عن فعل أي شيء من دون مادة، فهي تتحرّك في عالم مادي، بينما للإيمان سلطة، على صورة اللّه، أن يبدع خليقة جديدة.

لا تجرؤ المعرفة البشرية ولا تبتغي أن تتجاوز حدود الطبيعة، بينما الإيمان «يتعدّاها بسلطة». هذا يُبرهَن في سيَر كل القديسين الذين بقوة الإيمان «اجتازوا اللهيب وقيّدوا قوّة النار المحرقة، وعبروا في وسطها بدون أذى، ومشوا على سطح البحر كما على اليابسة». وكل هذه الأمور التي يفعلها الإيمان هي فوق الطبيعة ومناقضة لطرق المعرفة البشرية.

المعرفة البشرية «تحافظ على حدود الطبيعة» بينما الإيمان يتجاوز الطبيعة. تسعى المعرفة البشرية دائماً إلى «وسائل لصيانة أصحابها» أي أنها دوماً تتخذ تدابير لتحمي الإنسان بوسائل بشرية. أمّا الإيمان فهو يترك الأمر كلياً للّه.

«مَن يصلّي بإيمان لا يحتاج إلى وسائل وطرق». لا تبدأ المعرفة البشرية أي عمل من دون أن تدرس نتيجة كل عمل قبل أن تباشر به، بينما الإيمان يقول: «كل شيء مستطاع عند المؤمن (متى١٩:٢٦) فلا شيء مستحيل عند الله».

صحيح، بحسب القديس إسحق، أن المعرفة البشرية ليست أمراً مذموماً، لكن هو الإيمان أكثر سمواً. تكتمل المعرفة بالإيمان لأن «المعرفة هي درجة يصعد بها الإنسان إلى علو الإيمان». عندما يأتي الإيمان (الكامل)، يبطل الجزئي. إذاً، «بالإيمان نتعلّم الأمور غير المدرَكَة، لا بالتفحّص وقدرة المعرفة». كل أعمال البرّ التي هي الفضائل، أي الصوم، الإحسان، السهر، التقديس وغيرها «مما يتمّ بالجسد»، وكل تلك التي تتمّ في النفس، أي محبة القريب، تواضع القلب، مسامحة الخطأة، ذكر الصالحات، فحص الأسرار المخفية في الكتاب المقدّس، تأمل العقل بالأعمال الفُضلى، وغيرها من الفضائل، «كل هذه الأعمال تحتاج إلى المعرفة لأنها تصونها وتعلّم درجاتها». وهذه الأمور كلها هي درجات تصعد عليها النفس «لتبلغ علوّ الإيمان الأسمى». في كل الأحوال، «سيرة الإيمان أسمى من الفضيلة، وتحقيقها لا يتمّ بالأعمال، بل بالراحة التامة والتعزية الصائرتين بهذيذ القلب والنفس».

بحسب تعليم القديس إسحق وغيره من الآباء القديسين، تشير كلّ هذه الأمور إلى أنّ الإيمان هو أكثر سمواً من المعرفة، وأرفع حتى من المعرفة التي تُكتَسَب بممارسة الفضيلة، لأن الإيمان هو حالة مواهبية وشركة مع اللّه. إنه «**فهم القلب ورؤياه**» ، الحياة التي تنمو في النفس مع مجيء نور النعمة الإلهية.

في تعليم القديس غريغوريوس بالاماس، نجد أن معرفة اللّه هذه هي بالحقيقة شركة وجودية مع الإنسان واتحاد مع اللّه. إذاً، الإيمان هو معرفة أسمى من كل معرفة بشرية، لأن به نجد المسيح نفسه المختبئ في أعماق الوصايا.

يتحدّث القديس إسحق السوري عن ثلاثة أنواع من المعرفة. فلنتفحّص كيف تختلف **لأني أرى أن هذا يظهر لنا اختلاف التقليد الأرثوذكسي عن تقليد الحضارة البشرية**، واختلاف المعرفة الإلهية عن المعرفة البشرية.

هناك ثلاث طرق عقلية تَصْعَد المعرفة عليها وتنزل وهي: **الجسد والنفس والروح**. في الواقع، عندما يتحدّث الآباء عن الجسد والنفس والروح لا يعنون أجزاء الإنسان الثلاث، بل يعنون بكلمة «**الروح**» موهبة النعمة الإلهية التي بها يتبارك الإنسان.

بدون نعمة اللّه، يكون الإنسان نفسانياً أو جسدانياً، بينما وجود النعمة يجعله روحانياً. فيما طبيعة المعرفة واحدة، فهي تُصقَل وتغيّر طرق تفكيرها بحسب هذه المجالات العقلية والحسية.

وهكذا، كما أن هناك ثلاثة أشكال حسية وعقلية: جسد ونفس وروح، هناك أيضاً ثلاثة أنواع من المعرفة مرتبطة بهذه الأشكال. يظهر الإنسان تقدمه وحالته الروحيين بحسب نوع المعرفة التي يمتلكها. فضلاً عن ذلك، يشير نوع معرفة كل إنسان إلى تطهره وشفائه. مَن نَفْسُه تفتقر إلى الصحّة تكون معرفته جسدية، بينما الذي هو في طور الشفاء فمعرفته نفسانية، أمّا الذي شُفي فعنده المعرفة الروحية. يعرف هذا الأخير أسرار الروح التي يجهلها إنسان الجسد ولا يفهمها.

تُكتَسَب المعرفة الأولى بالدراسة المستمرة واليقظة في التعلّم. تأتي المعرفة الثانية من السيرة الطاهرة الصالحة ومن الإيمان. أمّا المعرفة الثالثة فهي «ميراث الإيمان فقط، لأن الإيمان يبطل المعرفة ويضع حدّاً لأعمالها وتصبح الحواس غير ضرورية».

لننظر تحليلياً، على أساس تعليم القديس إسحق، إلى أنواع المعرفة الثلاث التي تشير إلى مرض نفس الإنسان أو صحتها. نبدأ أولاً **بالمعرفة الجسدية**. بعض العناصر المميزة التي ترتبط بشهوات الجسد هي الثروة، المجد الباطل، الزينة، راحة الجسد والاجتهاد في الحكمة المنطقية بما يتناسب مع مسيرة هذا العالم فتزخر بالاكتشافات الجديدة والفنون والعلوم وغيرها. هذه المعرفة مضادة للإيمان، كما شرحنا سابقاً، لأنها تفتكر أن «كل الأشياء تسير بعنايتها». إن حكمة أمور هذا العالم ومعرفته، من دون نوعي المعرفة الآخرين، بلا نفع لا بل تخلقان مشاكل كثيرة للإنسان. هذه المعرفة ضحلة وقاحلة، لأنها «مجردة من كل اهتمام إلهي». إن اهتمامها هو فقط بهذا العالم، ولأنها محكومة بالجسد «تجلب إلى الذهن ضعفاً بهيمياً».

أغلب الناس في زماننا نفوسهم غير مداواة ويملكون هذه المعرفة ويتعهدونها باستمرار. كل الحضارة المعاصرة التي تخلق شواذات كثيرة في النفس والجسد هي في هذه الحالة من عدم الشفاء. لهذا السبب، هذه الأحادية الجانب في المعرفة تسبب مشاكل كثيرة. والقديس إسحق يصفها على هذا المنوال: رجل هذه المعرفة الجسدية يستولي عليه صغر النفس والحزن واليأس وخوف الشياطين والجزع من الناس ومن ذكر اللصوص وأنواع الموت وفقدان الحاجات الجسدية، والخوف من الموت والآلام والوحوش الضارية وكل ما شابهها من الأهوال التي تحدث في بحر الحياة الحالية.

إن الرجل صاحب هذه المعرفة البشرية الجسدية لا يعرف كيف يترك نفسه لرحمة الرب، بل يحاول أن يحلّ المسائل المختلفة بنفسه. لكنه متى عجز عن إيجاد الحلول لأسباب مختلفة يتخاصم مع الناس الذين يقاومون معرفته ويعاكسونها. إنه يتوصّل إلى المخاصمة مع الناس لأنهم يعيقون امتلاكه لأشياء المعرفة الجسدية.

هذه المعرفة البشرية والاهتمام العالمي يستأصلان المحبة كلياً. إن هذه المعرفة تجعل الناس يتفحّصون هفوات الآخرين وأخطاءهم وأسبابها، إضافة إلى ضعفاتهم، كما تجعل المرء يضاد كلمات الآخرين ويصدها بغطرسة، ويصبح خبيثاً في كل أعماله يبتكر الطرق ليهين الآخرين. في هذه المعرفة يكمن الانتفاخ والكبرياء. يظهر بوضوح أن المعرفة الجسدية هي من مميزات الحضارة المعاصرة. يقدّم القديس إسحق بنفاذ بصيرة نبوي علَل هذا الإنسان الجسدي ومساعيه، ويصف صراعه وقلقه، كما يعرض نتائج المعرفة الجسدية المريعة: تعكير العلاقات الشخصية، نقص المحبة، العناد والمكر في كل الأعمال. وهذه كلها أمور تسِم الإنسان المعاصر ذا النفس المريضة، البعيد عن اللّه.

المعرفة الثانية هي **معرفة النفس**. بعد أن يترك الإنسان المعرفة الأولى الجسدية ويتوجّه إلى هواجس النفس ورغباتها، عندها تتبع كل أعمال معرفة النفس الصالحة. هذه هي: الصوم، الصلاة، الإحسان، مطالعة الكتاب المقدس، طرق الفضيلة، مصارعة الأهواء وغيرها. كل هذه الأعمال تُتمّم بالروح القدس. فهي لا تتم بقدرة الإنسان بل بتكافله مع الروح القدس. هناك مراحل في اكتساب المعرفة. تكتمل الدرجة الثانية عندما «يوضع لها أساساً عمل السكينة البعيدة عن الناس والحافلة بمطالعة الكتاب المقدس والصلاة».

هذا يعني أن مَن يمتلك معرفة النفس هذه يعيش في السكون مع كل ما يتضمن هذا العيش. فهو يصلّي إلى اللّه بلا انقطاع ويدرس الكتاب المقدس في هذا الجو المقدّس من الهدوء ليغذي نفسه وليس ليتعلّم كلمات اللّه حباً بالفضول. هذه الفئة تتضمّن الناس الذين شُفوا من القروح النفسانية والجراح في نفوسهم. هذا الشفاء يقدّم معرفة ممكن أن نسمّيها مرحلة تمهيدية أو غرفة انتظار للمرحلة التالية أي المعرفة الروحية التي يجهزها حضور نعمة اللّه في قلب الإنسان.

عندما ترتفع معرفة الإنسان فوق الأرضيات واهتماماتها وتبدأ بمراقبة الأفكار المخبأة عن العين، وعندما تزدري الأمور «التي ينشأ منها انحراف الأهواء»، وترفع ذاتها إلى فوق بتوقها إلى مواعيد الدهر الآتي وفحصها الأسرار الخفية، عندئذ «يبتلعها الإيمان ويحوّلها ثم يلدها من جديد، كما كانت في البداية، فتصبح كلّها روحاً». من ثمّ تستطيع أن تحلّق إلى أمكنة الملائكة غير المتجسمين وتعرف الأسرار الروحية وطرق إدارة الطبائع العقلية والحسية. هذا يعني أنها تعرف الأسس الداخلية للكائنات فتستيقظ الحواس الداخلية وتقبل الروح القيامة التي تشهد لقيامة البشر الآتية. «عندئذ تستطيع التحليق إلى أمكنة اللامتجسدين وأن تلمس عمق البحر غير المدرك لأنها تفهم بأي طريقة عجيبة إلهية تُدار الطبائع العقلية والحسّية وتفحص الأسرار الخفية التي تُدرَك بالذهن البسيط الشفاف، فتستيقظ الحواس الداخلية لعمل الروح حسب نظام الحياة الأزلية العديمة الفساد، لأنها قد قبلت القيامة المدركة من خلال ما هو هنا، كما بسرّ، شهادة حقيقية لتجديد الكل». كل قديسو اللّه قد امتلكوا هذه المعرفة، موسى وداود وإشعياء والرسولان بطرس وبولس وغيرهم من القديسين الذين استحقوا هذه المعرفة الكاملة «بحسب استطاعة الطبيعة البشرية».

في الحقيقة، هذه المعرفة تأتي من معاينة اللّه ومن النور غير المخلوق، من الإعلانات الإلهية، أو كما يعبّر عنها القديس إسحق: «الرؤى المتنوّعة والإعلانات الإلهية ومشاهدة الروحيات السامية والأسرار التي لا تُوصَف...» عندها تُبتَلَع المعرفة بهذه الرؤى الإلهية وتصبح نفوس المعاينين «في أعينهم كالتراب والرماد». يكتسب الإنسان المعاين حلّة التواضع والبساطة المباركة. وهكذا، فإن المعرفة الروحية، أي المعرفة التي من اللّه، هي **ثمرة الثاوريا** يكسَبها الإنسان الذي تقدّم من المعرفة الجسدية إلى تلك التي للنفس ومن ثمّ إلى المعرفة الروحية.

يمكن القول باختصار أن المعرفة الأولى «تجمّد النفس وتمنعها من السير في طريق اللّه». المعرفة الثانية «تجعلها حارّةً لتبلغ درجة الإيمان». أمّا المعرفة الثالثة فهي استراحة من الأعمال «لأنّها تتمتّع بنعيم أسرار الدهر الآتي بتأمّل الذهن فقط».

إن هذا التعليم من عند القديس إسحق مناسب... لأن أعضاء الكنيسة لا يُقسَمون إلى صالحين وأشرار أو إلى أخلاقيين وغير أخلاقيين، وكأن المعيار هو الأخلاق البشرية، بل هم يُقسَمون إلى مرضى بالنفس، وآخرين تحت العلاج وغيرهم قد شُفوا. تتوازى هذه الفئات الثلاث بالضبط مع درجات المعرفة الثلاث. مرضى النفس هم أصحاب المعرفة الجسدية الدنيَويّة. الذين قيد العلاج هم الذين على درجات مختلفة من تحصيل حكمة الروح ومعرفتها. أمّا الذين شُفوا فهم قدّيسو اللّه أصحاب المعرفة الروحية، أي معرفة اللّه الحقيقية.

أغلب أهل زماننا هم مرضى بالنفس لأنهم لا يعرفون شيئاً عن النوس والقلب، لذا هم في المعرفة الجسدية اللحمية الأولى. غيرهم ينتمي إلى المعرفة الثانية لأنّهم يجاهدون لكي يُشفوا عن طريق كامل الطريقة الهدوئية التي **تتضمنّها الكنيسة الأرثوذكسية**. أمّا القديسون، الذين ما زال يوجد منهم في أيامنا، فهم ينتمون إلى المعرفة الثالثة لأنهم شُفوا من مرضهم وبالتالي اكتسبوا معرفة اللّه.

طاووس

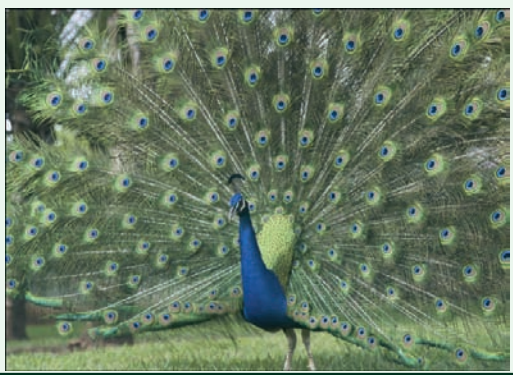

الطاووس طائر معروف حسن الشكل سريع العدو. وهو على أشكال كثيرة ، يعيش في الأحراش والمناطق الجبليّة في الهند وسيلان. والأنثى أقل جمالاً من الذَكَر الذي يتميّز بكثرة ألوانه وذيله الطويل الذي ينشره كالمروحة ، وتنتشر به بُقَع مُلوّنة وكأنّها عيونٌ نجلاء.

وكان للملك سليمان في البحر سُفن ترشيش مع سفن حيرام ملك صور. «فكانت ... تأتي مرّة كلّ ثلاث سنوات ... حاملة ذهباً وفضّة وعاجاً وقروداً وطواويس» (١مل١٠:٢٢ و ٢أخ٩:٢١).

ويرى البعض أن الكلمة العبريّة المترجمة «طواويس» وهي «توكيم» (يُسمّى الطاووس في لغّة التاميل ـ في سيلان ـ «توكي») قد تكون مشتقّة من كلمة مصريّة تدل على نوع من القرود الأفريقيّة.

ومع أنّ لحم الطاووس ومخّه ولسانه كانت تعتبر من أفخر أنواع الطعام عند الرومان، إلا أنّ الطاووس ـ عند بني إسرائيل ـ لم يكن سوى طائر للزينة.

التسليم لمحبّة اللّه

إذا أصبحتُ عندي قُوتُ يَومي ... فَخَلِّ الهمَّ عنّي يا سعيدُ

ولا تُخطِر هُمومَ غَدٍ ببالي ... فإنَّ غداً لهُ رزقٌ جَديدُ

أُسَلِّم إن أراد اللّه أمراً ... فَأَترك ما أُريد لما يُريدُ

وما لإرادتي وَجْهٌ ، إذا ما ... أراد اللّه لي ما لا أُريدُ

المجيء الثاني والإستعداد له

للأب أنتوني م. كونياريس كاهن كنيسة الروم الأرثوذكس في مدينة مينيابوليس - الولايات المتحدة الأمريكيّة

(١)

المجيء الحتمي

لم يُخبرنا الرب يسوع كثيراً عمَّا سوفَ يحدث لنا في المستقبل ، ولكنه أخبرنا عن حَدَث هام جداً سوفَ يحدُث في هذا المستقبل، إنَّه أبلغنا أن نتوقَّع تواجده الفجائي عند نهاية جسر الحياة.

يقول قانون الإيمان النيقاوي: "وأيضاً سوفَ يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات".

المستقبل هو شيء كل واحد منَّا يتَّجه نحوه ويطلبه بمعدَّل ستين دقيقة في الساعة. مهما فَعَلَ الإنسان ، ومهما كان الإنسان ، فإنَّ أهمّ حَدَث في المُستقبل هو مجيء الرب يسوع وظهور كل واحد منَّا أمامه للدينونة.

الكتب المقدّسة تشهد على مجيئه

يتكلّم الكتاب المقدّس بكل وضوح عن المجيء الثاني للرب يسوع فيقول: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القدِّيسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيُميّز بعضهم من بعض كما يُميِّز الراعي الخراف من الجداء» (متى٢٥: ٣١-٣٢).

« ... آتي أيضاً (مرّة ثانية) ...» (يو١٤: ٣٠).

«إنَّ يسوع هذا الذي ارتَفَع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع١: ١١).

«لأنّه لابد أنّنا جميعاً نُظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صَنَعَ خيراً كان أم شرّاً» (٢كو ٥: ١٠).

«متى أُظهِرَ المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كولوسي ٣: ٤).

التباين بين المجيء الأوّل و الثاني

تنبَّأ العهد القديم عن مجيء يسوع الأوّل بالتفصيل. وقَبْلَ ميلاد يسوع بمئات السنين كَشَف الأنبياء وأعلنوا أنَّه:

سوفَ يولَد في بيت لحم.
سوف يهرب إلى أرض مصر.
سوف يشفي المرضى.
أنَّ شعبه الخاص سوفَ يرفضه.
أنّ تلميذاً سوف يُسلِّمه ويبيعه بثلاثين من الفضّة.
أنَّه سوفَ يُصلَب مع الخُطاة.
وسوفَ يُطعَن في جنبه، وسوفَ يقوم من بين الأموات.
وسوفَ يَصعَد إلى السموات.

من قَبل أن يولد يسوع بمئات من السنين، تنبأ الأنبياء عن كل هذه الأشياء ، أمّا العهد الجديد وبما في ذلك يسوع نفسه، فيخبرنا بأنَّه سوفَ يأتي مرَّة ثانية ! ولكن ما أوسع الإختلاف بين المجيء الأوّل والمجيء الثاني ! عند مجيئه الأوّل، فإنَّ شعباً قليلاً جدّاً تعرَّف عليه ، أمَّا في مجيئه الثاني فسوف تراه كل عين ، وكل شخص سوفَ يتعرّف عليه.

عند مجيئه الأوّل رُذِلَ ورُفِضَ من الناس ، أما في مجيئه الثاني، فإنَّ كل ركبة سوفَ تجثو له.

عند مجيئه الأوّل سَبَّه النّاس وشتموه بألسنتهم، أما في مجيئه الثاني فسوف يعترف كل إنسان أنّه ربٌّ.

عند مجيئه الأوّل ، فإنّ اثني عشر فقط متواضعين تبعوه، وأمّا في مجيئه الثاني فإنَّ أجناد الملائكة سوفَ يُحيطون به.

عندما أتى أوّلاً وُلِدَ كطفل لا قُدرة له ، أمَّا في مجيئه الثاني فسوفَ يأتي كَمَلِك الملوك وربِّ الأرباب.

أخبار سارة

لَمْ يتكلّم يسوع عن مجيئه الثاني ليخيفنا أو يُروِّعنا: «سوفَ آتي أيضاً (ثانية) وآخذكم إليَّ حتى حيثُ أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو١٤: ٣).

هذه الكلمات لا تُخيف، إنّها كلمات شخص يُحبُّنا، سوفَ يأتي ليأخذنا في حضرته. فإن كُنَّا نُحب أن نكون في حضرته الآن، فإنّنا سوف نبتهج عند رؤياه في مجيئه الثاني. إن كنا قد قبلناه كسيِّد ورب على حياتنا الآن، فسوفَ نتمنّى مجيئه مُتوقّعين البَرَكات الأعظم التي سوف يأتينا بها: «تعالوا إليَّ يا مُبارَكي أبي، رثوا الملكوت المُعدَّ لكم مُنذ تأسيس العالم» (متى٢٥: ٣٤).

يقول الرسول بولس: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو٨: ١). إنّهم قد خلُصوا وتطهَروا وافتُدُوا بدم الحَمَل، إنَّما الذين اختاروا أن يعيشوا لأنفسهم ورَفَضوا يسوع ، فسوف يُتركون ليعيشوا لذواتهم إلى أبد الدهر في الموت الأبدي.

كان مجيء المسيح يُشكِّل أخباراً سارَّة للمسيحيّين الأوَّلين، ولا زالت هي أخبار سارَّة للتابعين المُخلصين ليسوع إلى كل الأجيال. سوفَ يعود المسيح، سوفَ يعود

ظافراً ليُخلِّص شعبه، وفي سماء جديدة وأرض جديدة سوفَ يمسَح اللّه كل دمعة من العيون. لن يكون فيما بعد موتٌ ولا حُزن ولا صراخ ولا ألم، لأنّ الأمور الأولى قد مَضَت.

إن بَدَت الأمور صعبة الآن أو مؤلمة، فإنَّ رسالة المجيء الثاني هي: لا تستسلم، لا تقطَع الأمل، لا تيأس، ثق في الرب، ضَع حياتك بين يديه، إقبَل صَفحَهُ وغُفرانه، تمسَّك بإيمانك، وسوف تكتشف يوماً ما أنَّ آخرين قد سبقوا واكتشفوا قبلاً منكَ أنَّ آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن لكَ عندما يأتي الرب ثانية.

إستخدم المسيحيّون الأوائل كلمة واحدة في تحيَّتهم بعضهم لبعض: "ماراناثا". إنّنا نجدها في (١كو١٦:٢٢). وتعني: «**تعال أيّها الرب**». لابد أنَّها كانت شعاراً، إنذاراً، وربَّما كلمة سرٍّ كان يستخدمها المؤمنون المسيحيُّون المُضطهَدون ويتهامسون بها بعضهم مع بعض، وكانوا عن طريقها يتعارفون بعضهم على بعض، كذلك كانوا يُحيُّون بعضهم بعضاً: «**تعال أيّها الرب**» مع كل صباح يوم جديد، كما كانوا يُعزُّون بها بعضهم بعضاً عندما كانوا يتقدَّمون بشجاعة لمواجهة الإستشهاد.

توجد هنا كلمة من واجبنا نحن أيضاً أن نحيا ونموت بها وكذلك نطردُ بها كل المستقبَل المشئوم، يقول الربّ: "إنّي آتي ثانية"، ويجيبه المسيحيّ: «**ماراناثا، تعال أيُّها الرب**».

متى سوفَ يأتي

إنَّ يسوع نفسه أجاب عن هذا السؤال عندما قال: «وأمَّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحَد ولا ملائكة السموات إلاّ أبي وحده» (متى ٢٤:٣٦). لا يَعلَم أحد متى سوفَ يكون المجيء الثاني، إنّ هذا يَعلَمه الآب فقط.

ولكن شيئاً واحداً قيلَ لنا: إنَّه سوفَ يأتي فجأة كلصّ في نصف الليل، أي دونَ أن يكون الناس مُستعدِّين له، ولهذا السبب وَجَبَ علينا بالضرورة كمسيحيّين أن نحيا كما لو كان يسوع سوفَ يأتي اليوم.

قصّة

زارَ سائح حديقة في إيطاليا غاية في الإبداع والجمال والرونق والرِّفعة في التهذيب، وكتَبَ لنا هذه المحادثة بينه وبين البستاني:

ـ كَم لكَ في رعاية هذه الحديقة؟ ـ خمسة وعشرون عاماً.
ـ وكم مرّة أتى صاحب البستان لرؤيته خلالها؟ ـ أربع مرّات.
ـ متى جاء آخر مرّة؟ ـ منذ اثني عشر عاماً.
ـ أعتقد أنَّه يُراسلك. ـ كلاَّ على الإطلاق.
ـ ومن أين تحصُل على التعليمات الخاصة بالعَمَل؟ ـ من وكيل صاحب البُستان في مدينة ميلانو.
ـ هل يأتي كثيراً هنا؟ ـ لَم يأت على الإطلاق.
ـ مَن يأتي إذن ليعتني بالأمور هنا؟ لحدٍّ ما فإنَّني أُترَك بمفردي.
ـ آه! ومع ذلك تعتني بالبستان وتحفظه بهذا الرونق حتى يكاد الإنسان يظن أنَّك تتوقَّع مجيء صاحبه غداً..
ـ كلاَّ. بل أتوقَّع مجيئه ليس الغَد ولكن اليوم يا سيّدي!

لماذا لم يأتي يسوع منذ زمان؟

يُعطينا القدّيس بطرس الإجابة عندما يكتُب: «ولكن لا يخفَ عليكم هذا الأمر أيُّها الأحباء أنَّ يوماً واحداً عند الربّ كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد. لا يتباطأ الربّ عن وعده كما يحسب قومٌ التباطؤ، لكنّه يتأنّى علينا، وهو لا يشاء أن يَهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بط ٣:٨-٩). وبكلمات أخرى، إنّه يبطيء لأنّه يُريد أن يُعطينا فُرصة ووقتاً للتوبة.

أمسكَ مُلحدٌ بساعته ذات مرَّة وقال: "**إن كان اللّه موجوداً فليُمتني خلال خَمس دقائق**"، ولمّا لَمْ يحدث شيء ابتَسَم. سمع أحد أصدقائه المؤمنين بهذا فقال: "هل يَظن هذا المُلحد أنَّه يستطيع أن يستنفد صَبر اللّه خلال خَمس دقائق؟".

اللّه لا يتعامل معنا بحسب ساعتنا وتقويمنا، إنَّه خالد، خارج الزمن، فوقه وبعده. وإن كان الزمن لا يعني شيئاً بالنسبة للّه، لكنه يعنينا جدّاً طالما المسيح لم يأت بعد. إذاً لا زال يوجَد وقتٌ لنا لنتوب ونؤمن، وقتٌ لنَخْلص. وهذا هو سبب إبطائه، إنّه يُريد أنَّ: «الجميع يخلصون وإلى معرفة الحقّ يُقبلون» (١ تي ٢:٤).

لماذا لم يُخبرنا عن موعد مجيئه؟

لم يُعلن لنا يسوع عن موعد مجيئه الآتي لسبب مُناسب جدّاً، إنَّه يُريدنا أن نكون باستمرار مُستعدّين.

عندما يأتيكَ ضيوف في منزلك، فإنَّكَ تَودّ أن تَعرف اليوم بالضبط ـ إن أمكن ـ وكذلك ساعة وصولهم، ولكن إن حَدَثَ هذا، فإنَّكَ سوفَ تُنَظِّف المنزل وتُعدُّه ليكون على أتمِّ تجهيز لدى وصولهم، ولكن إن كنتَ لا تَعرف موعد حضورهم، فهذا سوف يستلزم أن تَجعَل المنزل نظيفاً في كل وقت.

اللّه يُريدنا أن نكون متأهّبين لمجيئه باستمرار، أن نحتَفظ بنقاوة سريرتنا باستمرار. وهذا الكلام يصيغه المغبوط أُغسطينوس هكذا: "هذا اليوم هو اليوم الوحيد الذي أخفاه اللّه عنَّا حتى نحتَفظ بجميع الأيام ونحنُ في يقظة وانتباه".

في الواقع فإنَّ الأمر لا يختلف كثيراً عند مجيء الربّ، إنّ مجيئه قريب تماماً مثلما نتوقَّع انتهاء حياتنا في أي لحظة: «وُضِعَ للناس أن يموتوا مَرَّة ثمَّ بعد ذلك الدينونة» (عب ٩:٢٧). وفي كلمات أُخرى ستكون هناك دينونة أكيدة عند مجيء الرب. هذا هو السبب المناسب الذي يدعونا أن نكون باستمرار مُستعدِّين لمجيء السيِّد.

لماذا يُخبرنا يسوع بحقيقة مجيئه الثاني ؟

بما أنَّ اللّه محبّة ، فإنَّ كل شيء يفعله تُحرِّكه المحبَّة، ومن ضمن هذه الأشياء: **الدينونة**. إنَّ اللّه عندما يدين فهو يَفعَل هذا ليس من أجل أن يُحقِّر فاعل الشرّ ، ولكن لأجل أن يُغيِّره.

وإن كان الناس لا يستجيبون أحياناً للحث والإقناع، فربَّما يستجيبون للشدَّة وللصرامة. فالدينونة إذاً هي نوع من : "**العلاج من خلال الصدمة**" ، والتي يستخدمها اللّه ليَستفيق الناس ويرجعوا إلى رُشدهم. لقد أفهمنا الكتاب المقدَّس أنّ الدينونة هي وسيلة لتَجعَل محبَّة اللّه تَصل إلى أولاده غير الطائعين، فنقرأ في المزمور «عند قيام اللّه للقَضاء لتخليص كل وُدعاء الأرض» (مز٧٥:٩). إنَّ مفتاح الكلام هنا هو: "**للقضاء لتخليص**". هنا السبب الذي لأجله يُعلن اللّه قَضاءه. إنّه يُريد أن يستعدَّ الجميع ليَخلصوا ، فدينونة اللّه هي مُخلِّصة.

ماذا سوفَ يحدث في ذلك اليوم ؟

(١) يخبرنا الكتاب المُقدَّس أنَّ الربَّ سوفَ يأتي ثانية: «جميع قبائل الأرض سوف يُبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوَّة ومجد كثير ، فيُرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مُختاريه من الأربع الرياح من أقصى السموات إلى أقصائها...» (متى ٢٤:٣٠-٣١).

(٢) عند مجيء الرب سوف يقوم الأموات: «لأنّ الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق اللّه سوفَ ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أوّلاً ، ثمَّ نحنُ الأحياء الباقين سنُخطَف جميعاً معهم في السُّحُب لملاقاة الرب...»(١تس ٤:١٦-١٧).

(٣) ثمَّ يؤَسِّس الرب سماءً جديدة يسود فيها ملكوت اللّه. لن يكون هناك حرب ولا شهوة ولا كراهيّة ولا حُزن ولا ألم ولا نزاع ولا موت: «هوذا مسكن اللّه مع الناس وهو سيسكن معهم ، وهم يكونون له شعباً واللّه نفسه يكون معهم إلهاً ، وَسَيمسَح اللّه كل دمعة من عيونهم ، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حُزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد ، لأنّ الأمور الأولى قد مَضَت» (رؤ ٢١:٣-٤).

(٤) وعند مجيء الرب سوفَ تكون الدينونة. يكتُب الرسول بولس ويقول: «عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوّته ، في نار لهيب مُعطياً نقمة للذين لا يعرفون اللّه والذين لا يُطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقَبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوَّته ، متى جاء ليتمجَّد في قدِّيسيه، ويُتَعَجَّب منه في جميع المؤمنين ، لأنّ شهادتنا عندكم قد صُدِّقت في ذلك اليوم» (٢ تس ١:٧-١٠).

الدينونة تعني أننا سوفَ نكون أمام اللّه يوماً كما نحنُ عليه بالضبط ، وقد نُزِعَت عنّا كُلّ الأقنعة والأشكال الخارجيّة والمظاهر. هذا تماماً ما حَدَث مع بطرس بعد أن أَنكَرَ المسيح، رأى يسوع. نَظَرَ إليه يسوع. ولم يستطع بطرس أن يواجه الرب ولا أن يُقابل النظرة. إنَّه أُدين ، كُشفَ على ما هو عليه، كانت هذه النظرة هي التي ساعَدَت بطرس أن يتحقَّق من عظَم خطيئته التي ارتكبها، وهي التي قادته إلى التوبة ومن ثمَّ إلى الغفران.

لنا حقٌّ أن نتمتّع برحمة إلهنا ، لا توجَد خطيَّة مُستحيلة الغفران ما دام الإنسان يتوب عنها ، أمّا الخطيَّة التي لا نتوب عنها فلا يوجَد لها غُفران. ليسَ لأنَّ اللّه يَرفُض أن يغفر ، ولكن لأنّ الإنسان يُظهِر بعدم توبته أنَّه لا يُريد غفراناً.

نتمنّى أن نُعطى فُرصة أُخرى بعد الموت ، ولكن اللّه يُعطي فُرصة أُخرى بل آلافاً منَ الفُرَص في هذه الحياة فقط.

اللّه صار إنساناً في شخص يسوع ، مات على الصليب ليغفر لنا قامَ من الأموات ليُلاشي الموت عنَّا ولأجلنا ، غَفَر للِّص التائب للتوِّ لـيُبَيِّن لنا كَم يُعطينا من فُرَص ثانية وثالثة ومُتوالية للتوبة. إنَّها رَغبته: "**خلاصنا**". إنَّه يستمر يشفع في كل واحد منَّا شخصيّاً بالروح القدس من خلال صوت الضمير. إنَّه يمنحنا حُبَّه ورحمته باستمرار من خلال الكنيسة والكتاب المقدّس، ولكن اللّه لا يستطيع أن : "**يدفعنا بعنف**" لـحُبِّه ، وإلاَّ لَما صارَت محبّتنا له محبَّة حقيقيَّة. جزء من معنى حَريَّة الإنسان أن تعطينا الأمتياز المُرعب أن نقول للرب: "**لا**" وأن نرفُض محبَّته.

الخراف والجداء

يقول يسوع إنّ اللّه سوفَ يفصل في اليوم الأخير "**الخراف**" عن "**الجداء**". يجب ألاّ تفوتنا الحقيقة المُخبَّأة في هذا المَثل. نحنُ نعلم أن الخراف تتبع الراعي برغبة واشتياق ، بينما الجداء تتبعه بدفَع شديد من جهة الراعي. إنّها تُريد أن تمضي بعيداً بحسب هواها الخاص ، وتجول في كل اتجاه.

الراعي عندما يدعو الخراف فإنَّها تعرف صوته وتستجيب له للتوِّ أمَّا الجداء فليست هكذا ، إنَّ أساس الدينونة الأخيرة سوف يكون مبنيّاً على رغبتنا أن نكون مثل الخراف في طاعة دعوة الراعي الصالح.

يتبع في العدد القادم

عن القديس أشعيا التمتّع بالفرح أثناء التجربة ليس إلاّ دليلاً على أنك تطرح التجارب وراءك.

كيف أتقدم إلى الأسرار المقدسة

عظة للمطران أنطونيوس بلووم رئيس أساقفة الكنيسة الروسيّة بإنجلترا

حينما نزل موسى من على جبل سيناء بعد أن رأى مجد اللّه وليس اللّه نفسه ، كان وجهه يلمع لدرجة أنّه لم يستطع أحد أن يحتمل لمعانه ، ممّا جعَلَ موسى يضع برقعاً على وجهه حتى يستطيع الشعب أن يقف أمامه ويسمعوا الرسالة التي أعطاها له اللّه.

وهذا يحدث لنا ـ طبعاً بدرجة أقل جدّاً جدّاً ـ حينما يمتلىء قلبنا بفرح عظيم ، حينما نصير وجهاً لوجه مع شيء يملأنا بالدّهشة، وبفرح لا يُنطَق به، وهو ما يقودنا بطريقة ما إلى إحساس العبادة. هذا يُمكن أن يحدث حينما نتقابل مع شخص ينقل إلينا المحبّة ، شخص يكشف لنا شيئاً عن اللّه أو شيئاً منه لم نكن قد أدركناه من قَبل.

هذا يُمكن أن يحدث لنا حينما نلتقي باللّه في السكون، في هدوء الطبيعة. هذا يُمكن أن يحدث لنا بطُرُق كثيرة ولكن مَن يراه ويُدركه لا يُمكن أن يخطئه. فَالنّاس يدركون أنّنا قد رأينا شيئاً ما بعيون قلوبنا ، يدركون أنّ شيئاً ما قد أضاء حياتنا واخترقها، وأنّ هذا النّور الخفيّ يُمكن أن يُرى في عيوننا ، وعلى وجهنا.

فكيف إذن يحدث أنّنا نأتي إلى التناول من جَسَد المسيح ودمه مرّة بعد الأخرى: البعض يأتون إلى التناولَ كلّ أسبوع والبعض يتناولون مرّات أقل ومع ذلك فلا أحد يُلاحظ لمعان مجد اللّه على وجهنا، وفي عيوننا، أو في الحقيقة أن مجد اللّه لا يظهر في كل كلمة من كلماتنا، لا يظهر في العمق العميق الذي في الداخل ، لا يظهر في كل عمل نعمله بطريقة لائقة باللّه نفسه ؟

وأيضاً ، كيف أنّنا نأتي إلى التناول سنة بعد سنة ونحنُ نكاد لا نعي أو نُدرك أي شيء عن ذلك الأمر العظيم جداً والذي يفوق الوصف الذي قد حدَثَ لنا.

نذكر أنّ القديس سمعان اللاهوتيّ الجديد وهو قد كان في سنّ الشيخوخة يقول إنه تناول من الأسرار صباح يوم أحد ، وبعد ذلك اختلى في صومعته، وكانت صومعته عبارة عن كوخ من الطين ، ولم يكن فيها شيء سوى دكة خشبيّة. فجلَسَ عليها وصار ينظر إلى يديه ، وينظر إلى جسده ويصيح: كم أنّ جسدي هذا مثير للرهبة! إنّه ممتلىء بحضور الإله الحيّ ... لقد أتى اللّه إلى العالم وسكَبَ لاهوته في بشريتنا، والآن بتناولي الخبز والخمر (جسد ودم المسيح المحيي) فإنّي أشترك في ناسوته المقدّس وأيضاً لاهوته. هاتان اليدان، وهذه الأطراف التي شاخت جداً وصارت ضعيفة للغاية هي أطراف اللّه المتجسّد! وهذا الكوخ الصغير جداً، والحقير جداً هو أوسع من السماء ، لأنّ ملء اللّه يقيم فيه من خلال سُكناي هنا !

هل رأى أي واحد منّا أي شيء يمكن أن يجعلنا نفهم اختباره هذا؟ طبعاً أن نختبر نفس اختباره هذا كثير جداً علينا، ولكني أقول مجرّد أن نفهم: هل حدثَ لنا مرّة أن لمسنا مجرّد طرف السّرّ ؟ وإن كان الجواب لا، لماذا؟ أليسَ هذا بسبب أن الإنسان يمكن أن يأتي إلى التناول بطرق عديدة؟.

فواحد يمكن أن يأتي إلى التاول "**كأمر مفروغ منه**" بسبب أن اليوم عيد أو بسبب أنه يوم أحد أو بسبب أنّنا نظن أن الكلمات التي قيلت للرسل: «خذوا كلوا ... اشربوا منها كلكم» ، هذه الكلمات التي تنطبق علينا كلنا بدون تمييز، وذلك في **حالة الرخاوة** التي توجد فيها حياتنا المسيحيّة المُصابة بفقر الدمّ. ولكن هناك طريقة أخرى للتناول تحدث من الأشخاص الذين يجوعون إلى اللّه، أشخاص يشعرون أنّهم محرومون منه ، وأنّهم غير قادرين أن يصلوا إليه، يشعرون أنّهم غير قادرين أن يحلّقوا بأرواحهم نحو اللّه ، هؤلاء يأتون على ركبهم روحيّاً لينالوا من اللّه في الخبز والخمر اللذين جعلهما متّحدين بجسد قيامته، ينالون ما لا نستطيع نحن أن نصل إليه وأعني به: إنحدار اللّه إلينا وسكَب نفسه فينا استجابة للجوع القاتل ، استجابة لصرخة نفسنا بشعور الأيتام في عالم لا يعثر فيه أحد على اللّه.

ولكن هناك أيضاً الطريقة التي كان القديسون يأتون بها إلى التناول، بإحساس الرهبة، وبشعور الخوف، "**إنّه نار**" كما تقول إحدى الصلوات قبل التناول "**آه ليتني لا أحترق**". هل نحنُ واعون لهذا؟ هل نأتي إلى التناول بإحساس أنّنا نقترب من اللّه الذي هو **نارٌ آكلة ؟** هل يمكننا أن نردّد كلمات إشعياء التي اقتبسها الرسول بولس: «مخيفٌ هو الوقوع في يديّ اللّه الحيّ» (عب ١٠: ٣١). فكيف يحدث أنّنا نستطيع أن نأتي إلى التناول مرّة بعد أخرى ولا نعرف شيئاً من اختبار سمعان اللاهوتيّ ، ولا شيئاً من الجوع القاتل ، ولا شيئاً من الدهش لهذا اللقاء.

القديس بفنوتيوس بوروفيسكي

إنّه ثـقلنا ، إنه عمانا ، إنّه عجزنا عن الرؤية هو ما يجعلنا نفعل هذا. وهذا يذكّرني بحياة أحد القديسين الروس في القرن الخامس عشر وهو بفنوتيوس بوروفيسكي الذي كان متوحّداً في أحد الأديرة، ودُعيَ ليقيم القدّاس الإلهيّ لعدم وجود كاهن في الدير، فبعد نهاية القدّاس قال للرهبان: "لا تطلبوا مني مرّة أخرى أن أُقيم القداس الإلهيّ مهما كانت شدّة حاجتكم! لأنّه أن أرى ما قد رأيت ، وأن أختبر ما قد اختبرت، هذا يمكن أن يحدث مرّة واحدة فقط، لو حدث مرّة ثانية فإنّي سأموت بالتأكيد! " .

هل نعرف شيئاً عن هذا؟ هل نحنُ نشكّ أن مثل هذه الأمور موجودة أو أنّها تحدث؟ يجب أن نعطي وقتاً للتفكير فيما نفعل! إنّ اللّه يقبلنا، ولكن بأي ثمن؟ .

يقول القديس سيرافيم الذي من صاروف ، لواحد من تلاميذه: "نعم حينما تصلّي فإنّ اللّهَ يستجيب لصلاتك في المسيح، ولكن تذكّر **الثمن** الذي دفعه لكي يستطيع أن يعطيك ما تسأل! ـ إنّه التجسّد ، وحياته على الأرض، وأسبوع الآلام، والصلب، والنزول إلي الجحيم ـ هذا هو الثمن الذي دفعه لأجلنا لكي نجرؤ على الإقتراب منه! فبأي رهبة، وبأي توقير، وبإحساس العبادة وإحساس المسئوليّة ينبغي أن نأتي إذن إلى التناول».

ولكن كيف يحدث إذن أن نقترب جداً من النّار ولا نحترق! وهذا فكر يسبّب لي

القديس سيرافيم ساروفسكي

دائماً إحساساً بالخوف، وهناك فقرة من أقوال القديس سمعان اللاهوتي الجديد نفسه تقول:« إنّ اللّه لا يسمح لجسده المقدّس ودمه الكريم أن يتدنّس بواسطتنا أو فينا، فإذا حدث أن أتينا إلى التناول بغير إكتراث وبدون استحقاق فإنّه يَسْحَب قوّته النّاريّة من الجزء الذي تناولناه من الخبز والخمر وذلك حتى لا نحترق ولا نتحطّم».

ولكن كم يكون مرعباً أن نفكّر أنّه بسبب عدم استحقاقنا يمكن أن يحدث هذا! لذلك فلنتذكّر هذه التحذيرات التي نجدها في سيَر القديسين وقصص تحوّل الخطأة ونَسأل أنفسنا: "كيفَ آتي إلى التناول؟ هل بشعور الإحتياج الشديد ـ أم في رخاوة؟ هل بقلب منكسر ، بسبب أني أحتاج إلى اللّه أكثر من احتياجي للحياة نفسها أو أي شيء ـ أم بطريقة رخيصة أي بسبب أني عضو، عضو مُسَجّل في كنيسته، ولكن ليسَ عضواً حيّاً في جسده؟

فلنفكّر في الأمر بعمق، كما يقول الرسول بولس "**لنحكم على أنفسنا لكي لا يُحكَم علينا ونُدان**".

تدمر . . . عروس الصحراء السورية

تدمر: مدينة في الصحراء (٢أخبار٨:٤) وهي قديمة جداً، وكانت من أجمل مدن العالم ، حصّنها سليمان الحكيم لضبط طُرق القوافل المّارة بها. وفي (١ملوك٩:١٨) ورَدَ الإسم في النص العبري بصورة «**تامار**» وفي الهامش بصورة تدمر وهي واقعة على بُعد ١٤٠ ميلاً من الشمال الشرقي من دمشق و ١٢٠ ميلاً من الفرات وهي خربة الآن تمتد نحو ميل ونصف. وهي واحة يحيط بها القفر من كل الجهات فيفصلها عن المعمورة من الأرض حواليّها، ومن سنة ٢٥١م إلى ٢٧٣م كانت تدمر مستقلّة جزئيّاً، ثمّ بعد وقت إستقلّت إستقلالاً تاماً.

ولمّا تغلّب عليها الأسكندر الكبير أطلقَ عليها إسم «**پالميرا**» أي مدينة النخل ، وذلك لما كان يكتنفها من غابات النخل العظيمة. وأطلال هذه المدينة اليومَ تستحق النظر والتأمّل لما هي عليه من العظمة والجمال، ولما فيها من الآثار والأعمدة.

ويخترق المدينة شرقاً وغرباً صف من الأعمدة ، ويُقاطع هذا الصفّ صفّاً آخر. وأكثر هذه الأعمدة قائمة إلى الآن ولم يَزَل كثير من أعتابها كما كان أوّلاً، وعند طرف أوّل الصفّين قوس مبنيّة من الحجارة المنقوشة ، وعند ملتقاها أربعة أعمدة من الصخر ، إثنان منها قائمان وإثنان ساقطان. وفيها عدا هذين الصفّين أعمدة كثيرة وآثار هياكل وقبور مزخرفة وهيكل الشمس العظيم.

وقرية تدمر الحديثة داخل أسوار هذا الهيكل وآثارها لا يُضاهيها في الروّنق والإتّساع في كل سورية إلاّ بعلبك. ومياهها

هيكل الشمس في مدينة تدمر ، عروس الصحراء السوريّة

غزيرة تجري من تحتها في أقنية قديمة، وأعظم ينابيعها يجري في قناة طبيعيّة تحت الجبل جنوبيّ المدينة. ودرجة حرارة مائها الكبريتيّ ٨٨° ف (فهرنهيّت).

أمّا القبور فأكثرها خارج المدينة وهي غاية في الإتقان، بعضها محفور في الصخر تحت الأرض ، وبعضها مبنيّ على هيئة أبراج. وكانت المدينة ملآنة بالتماثيل المنحوتة ونواويس فيها مومياء. شبيهة بما في قبور مصر. ونظراً لموقع هذه المدينة الكائن بين سوريّة وما بين النهرين ، يزعم بأنّها كانت ذات أهميّة تجاريّة قبل زمن سليمان ، وأن سليمان استخدمها لمقاصد تجاريّة فقط ، وفي أيّام الملكة زنوبيّا (زينب) جعلتها حاضرة مملكتها ، غير أنّ أورليانس دمّرها سنة ٢٧٣ ق.م. وآثار المدينة تدل على قِدَم عهدها.

طريق النساك الصلاة (٣)

الشخص الذي يقرر أن يبدأ عمل تمرينات رياضية صباحية منتظمة، فإنه عادة يفعل هذا، لا لأن عنده لياقة بدنية من قَبل، وإنما لكي يحصل على شيء هو أصلاً لا يملكه. وحينما يحصل الإنسان على شيء ما فإنه يمكن أن يهتم بالمحافظة عليه، أما قبل ذلك فإن اهتمامه يكون منصبًا في الحصول على ذلك الشيء.

لذلك، أبدأ ممارستك دون أن تتوقع شيئًا من ذاتك. وإن تهيأت لك الفرصة الحسنة بأن يكون لك حجرة خاصة للنوم، فيمكنك بدون اضطراب أن تتبع حرفيًا تعليمات كتب الصلاة:

"حينما تستيقظ، وقبل أن تبدأ يومك، قف بخشوع أمام اللّه الذي يرى الكل. وارشم ذاتك بعلامة الصليب وقل:

"باسم الآب والابن والروح القدس... آمين".

وبعد أن تنادى الثالوث أصمت قليلاً، لكي تتحرر أفكارك ومشاعرك من الاهتمامات العالمية حينئذ ردد الصلوات التالية من كل قلبك: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ".

وبعد ذلك أكمل الصلوات الأخرى مبتدئًا بصلاة طلب الروح القدس أولاً: "أيها الملك السماوي"، ثم الصلاة للثالوث القدوس، ثم صلاة "أبانا"، التي تسبق بقية الصلوات الصباحية. ومن الأفضل أن تقرأ قليلاً من هذه الصلوات بهدوء من أن تقرأ جميع الصلوات بتعجل. إن هذه الصلوات تعتمد على خبرة الكنيسة المتجمعة طوال العصور، ومن خلالها يمكنك أن تدخل في صحبة شركة ضخمة من النفوس المصلية. فإنك لا تكون وحيدًا، بل أنت خلية في جسم الكنيسة - أي في جسد المسيح -. وسوف تتعلم الصبر بواسطة هذه الصلوات وهو الأمر الضروري ليس فقط للجسد بل أيضًا للقلب والعقل، كما أنه ضروري لبنيان إيمانك.

والصلاة الصحيحة الكاملة، هي تلك التي يتم فيها قبول كلمات الصلاة بالفكر والعاطفة معًا لذلك فهناك حاجة إلى الانتباه الداخلي فلا تدع أفكارك تسرح. بل احبسها مرة تلو مرة، وابدأ دائمًا من جديد، من النقطة التي بدأ ذهنك يسرح فيها عن الصلاة. ويمكن أن تقرأ من كتاب المزامير وتتبع نفس الطريقة، إن لم يكن معك كتاب الصلاة. وهكذا فإنك ستتعلم الصبر واليقظة الداخلية.

الشخص الذي يقف عند نافذة مفتوحة يسمع الأصوات من الخارج، ومن المستحيل ألا يفعل ذلك. ولكنه يستطيع أن يعير

انتباهه لهذه الأصوات أو لا يعيرها، حسبما يرغب هو، والشخص المصلي يحاربه تيار من الأفكار والمشاعر والانطباعات الذهنية غير الملائمة، وإن إيقاف هذا التيار المتعب، إنما هو أمر غير عملي تمامًا مثله مثل من الهواء من التسرّب إلى داخل حجرة مفتوحة. ولكن يمكن للإنسان إمّا أن يلتفت إلى هذه الأفكار أو يهملها، وهذا مايتعلمه الإنسان بواسطة التدرج، كما يقول القديسون.

حينما تصلي يجب أن تكون هادئًا: فأنتَ لا تصلي لكي تحقق رغباتك الأرضية الخاصة ولكنك تصلي: "لتكن مشيئتك"، فليس من الملائم أن نرغب في استعمال اللّه كما نستخدم صبيًا في نقل الرسائل، أنت نفسك يجب أن تصمت، دع الصلاة تتكلم.

وصلاتك ينبغي أن تشمل أربعة عناصر، كما يقول القديس باسيليوس الكبير: **التعبد، الشكر، الاعتراف بالخطية، وطلب الخلاص.** لا تهتم أن تصلي لأجل أي أمور خاصة، بل "اطلب أولاً ملكوت اللّه وبره وهذه كلها تُزاد لك" (مت ٦: ٣٣).

إنّ الذي لا يستطيع أن يجعل إرادته - ومن ثم صلاته - أن تتوافق مع إرادة اللّه، فسوف يواجه عقبات في مساعيه وسوف يسقط دائمًا في فخاخ العدو. إنه سيصير ناقمًا أو غاضبًا، تعسًا أو متحيرًا أو قلقًا أو مضطربًا، ولا يستطيع أحد أن يمكث في الصلاة بمثل هذه الحالة الذهنية.

والصلاة التي تُقدم بينما الإنسان يحمل في داخله دينونة أو لومًا لأي إنسان، هي صلاة غير نقية. شخص واحد فقط يمكن للمصلي بل ينبغي عليه أن يدينه: وذلك الشخص هو نفسه. وبدون إدانة الذات تصير صلاتك بلا قيمة كتلك التي تقدمها وأنت تدين شخصًا آخر في قلبك.

وربما تسأل كيف يمكنني أن أتعلم هذا؟ والجواب: هذا نتعلمه بواسطة الصلاة.

لا تخف من جفافك الداخلي. فالمطر المعطى للحياة يأتي من فوق، وليس من تربتك السفلية الصلبة، التي تنبت لك شوكًا وحسكًا فقط (تك ٣: ١٨) لذلك لا تنتظر أي "**حالة**"، سواء كانت دهش أو اختطاف روحي أو أي اختبارات أخرى محملة بالرغبات والعواطف. الصلاة ليس هدفها التمتع "اكتئبوا ونوحوا وابكوا" تذكر موتك. ورحيلك، واطلب الرب لأجل الرحمة. أما الباقي فيعتمد على عمله هو الضابط كل شيء.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (١٩)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة

الآموريون في كنعان:

إنتشرت في كنعان قبائل الأموريين والحوريين وكثير من القبائل العربيّة ، فقد صاحَبَ عصر إبراهيم حركات هجرة لقبائل ساميّة كانوا يسكنون القسم الشمالي من بابل وقد أسّسوا عاصمتهم في ماري Mari **(تل الحريري)** على نهر الفرات (تك١٠:١٦). والتي انتهت بعد أن دمّرها حمورابي، وفي نفس الوقت نزحت إلى كنعان قبائل الحوريين (الحويين) (تك١٤:١٦)، والذين أسّسوا عاصمتهم في نوزو Nuzu وهي مدينة إكتُشفَت أطلالها على بُعد عدّة أميال جنوبي شَرق نينوى.

واستمرّت هذه القبائل المختلفة تتدفّق كجماعات في كنعان بعد أن هجروا الصحاري ودخلوا بأعداد وفيرة بحثاً عن أرض يزرعونها ووطن يستقرّون فيه، وأحياناً كان يُطلَق على خليط تلك الشعوب من البدو الرُّحّل الأموريّون، ودخل الأموريّون الأرض وخرّبوا المُدن في الألف الثالثة ق.م.

وكانت هناك فترات يسودها الضعف والفوضى مثل تلك الفترة التي ظهر فيها الآباء ، ولكن في فجر الألف الثانية ق.م. حدث إستقرار تدريجي وبدأوا في بناء المدن، وكانت مصر أثناءها تسود بنفوذها في كنعان وتسيّطر بنحو خاص على السهول الساحليّة في غزّة ، وتَمُدّنا رسائل تل العمارنه التي ترجع إلى سنة ١٣٧٠ ق.م. وهي مجموعة من ٣٥٠ لوحاً من الطين اكتشفت في تل العمارنة جنوبيّ القاهرة، وموزّعة على متاحف العالم وعليها نقش بالخط المسماري باللغة الكنعانيّة ، وكانت تشكّل جزءاً من الحفوظات في الخزانة الملكيّة لأمينوفيس الثالث وأمينوفيس الرابع (الأسرة ١٨)

منظر لمدينة ماري القديمة (تل الحريري)

طاولة ملوكيّة بالخط المسماري

زيغوريت مدينة ماري القديمة (تل الحريري)

إله سومري : ٢٥٠٠ ق.م. جسم ثور، ووجه إنسان

رسومات أموريّة في منطقة (بني حسّان)

(١٤٨٠-١٤٦٠ق.م.) وقد كتبها ولاة وموظّفون وطنيّون معيّنون من قبَل فرعون مصر ويشيرون فيها إلى أنَ مناطقهم تتعرّض للخطر من الغزاة ، ويحذّرون من زحف الحثّيين وأن (العبيرو) تعاظم خطرهم ويطلبون من مصر سرعة إرسال الإمدادات للوقوف في وجه تلك الغارات، وذلك تَمُدّنا رسائل تل العمارنة بمعلومات غنيّة عن كنعان في زمن إبراهيم، وأنّ ارتحال إبراهيم صاحبه بداية حركة هجرة تزايدت مع الأيام ، وأن كنعان في زمن الآباء كانت بها مُدن مأهولة بالسكان مثل **دوثان وجرار وشكيم وبيت إيل**، وكانت الأشجار الكثيفة تُغطّي مساحات واسعة ، وهو وصف يتّفق مع قصص الآباء في الأرض ، وقد اكتشف أهرونيلد سنة ١٩٦٩م في بئرسبع أباراً ترجع إلى القرن ١٢ ق.م. وبئراً يصل عمقه إلى ٥٠ قدماً، وهو أكثر قُدُماً، وبجانب هذه الآبار توجد أحواض لتستقي منها القطعان وهذا يذكّرنا بقصّة سقي جمال عبد إبراهيم (تك٢١:٣١و٢٦:١٨) ،وعاش إبراهيم متنقّلاً وسط الأموريين في حدود حياة القبيلة يرحل من مكان إلى آخر شأنه شأن الأموريين ، ولم يترك لنا الأموريين أثاراً لهم بسبب أنّهم كانوا رُحّلاً ومن الطبيعيّ أنّنا لا نجد أسماءهم بين سجّلات حُكام كنعان، ولكنّنا نجد أسماء كانت تنتشر في ذلك الحين، فاكتُشفَ في بابل على أحد ألواح الطين إسم أبرَام وفيه أنّه سدّد ما عليه من الضرائب.

الحثيّون في كنعان:

إنتشر الحثيّون في كنعان قبل أن يُهاجر إبراهيم من أور الكلدانيين إلى كنعان ، وكانت أرض الحثيّين في زمن إبراهيم جزءاً من أرض كنعان (تك١٥:٣٠؛خر٣:٨) ،وكان لهم حُكّام وملوك (يش٩:١) ، وقد اشترى إبراهيم مغارة المكفيلة من عفرون بن صوحر الحثيّ ، وتزوّج عيسو من بنات الحثيّين (تك٢٣:٨؛٣٦:٣٤).

يتبع

عجائب القديس يوحنا الروسي

وُلدَ القديس يوحنا الروسيّ في روسيا سنة ١٦٩٠ . أسرَ في الحرب الروسيّة التركيّة سنة١٧١١ ؛ بيعَ كعبد لرئيس الفَرسان في بلدة بروكوبيو ، نال من الإضطهاد والعذاباتَ والضرب ألواناً. حافَظَ على إيمانه الأرثوذكسي. إنتقل وله من العمر ٤٠ عاماً. بقي جسده بدون فساد. نُقِلَ إلى بروكوبي في إيڤيا باليونان. وهو مسجّى في الكنيسة التي تحمل اسمه.

جمعها الأب يوحنا فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي - آڤيا

أهكذا تتذكر أصدقاءك؟

مجرّد تذكّر أو سماع هذه العبارة يجعلني راغباً بالضحك مع العم العجوز نيكوس.

العم نيكوس عامل متقاعد من أحد معامل **درابتسونا** في **بيرايوس**، وهو يضع نظارات ذات عدسات سميكة منذ أن خضع لعملية الماء الزرقاء قبل عشرين سنة تقريباً، وهو بالكاد يملك أي شعر على رأسه.

في محادثاته وصلواته ينادي القديس يوحنا الروسي بصديقه، وهو بالطبع صديقه. بساطته وبراءته تماثلانه بطفل.

«أنا هنا من جديد يا أبتي، فقد أتيت لأقول مرحباً لصديقي. لا أستطيع أن أفعل غير ذلك. عليّ أن أجلب له شمعة في يوم عيده لأنه صديقي. نحن أصدقاء منذ سنين. وكيف يمكننا أن لا نكون، فهو لم يرفض لي معروفاً أبداً؟ كل ما أطلبه منه يفعله حالاً. هذا هو ما تسميه صديقاً، إيه!».

ثم في يوم من الأيام جاء العم نيكوس حزيناً ومثقل القلب. دخل الكنيسة، ومن غير أن يحيي أحداً ذهب مباشرة إلى صديقه القديس يوحنا لكي يتحدث إليه. وبعد أن انتهى أخبرنا بحزن كبير: «تعرفون؟ أني أشعر بحزن اليوم ولكن لماذا أقول اليوم؟ إني أشعر بهذا منذ البارحة صباحاً. فالبارحة، تقريباً عند الساعة العاشرة صباحاً، ذهبت لأشتري كبد حمل ومعاليق، وقلت لزوجتي أن تضعها في المقلاة بينما أخرج إلى المخزن العام لأشتري نبيذ الراتنجي اليوناني الموضوع في براميل. كبد ومعاليق صحن لذيذ. وتوقفت أمام إشارة السير أنتظر ضوء العبور الأخضر، عندما سمعت صوتاً ورائي يقول: " أهكذا تتذكر أصدقاءك؟ " وتطلعت ورائي ولم أرَ شيئاً إذ كنت وحدي. ثم تطلعت إلى فوق إلى النوافذ المطلّة على الشارع لعل أحداً هناك، ولكن الصوت الذي سمعت كان قريباً جداً مني. وتحوّل الضوء إلى أخضر وعبرت الطريق وذهبت إلى المتجر. فإذ هناك صوت ترتيل فقلت لصاحب المخزن: «إنها كاسيت جميلة!» فأجاب: « ليست كاسيت يا عم نيكوس. إنها خدمة القداس الإلهي على الراديو. اليوم هو **عيد القديس يوحنا الروسي في آڤيا** ويشارك في الخدمة ستة أساقفة. هكذا قال مذيع الراديو.

وما زلت أسمع صرخات الشتائم وصوت الفرامل والصيحات والسائقين يشيرون بأيديهم لأني قطعت الطريق مباشرة من غير أن أنتظر إشارة المرور. فقد كنت ألوّح بزجاجة النبيذ الفارغة بيد بينما أشير لهم باليد الأخرى لكي يتوقفوا حتى أعبر.«ماذا سأفعل؟ لم آكل منذ البارحة وما زلت لا أريد أن آكل. أن يخبرك قديسٌ أنك نسيته ليس أمراً صغيراً. أأستطيع أن أدعوه صديقي من جديد؟ ألن يستاء؟ قل له أبتِ أنّ الأمر لم يكن كذلك. أنني لم أعنِ ذلك».

كلا يا عم نيكوس إنها لم تكن هكذا. فأنت كنت ودائماً ستبقى صديقه. تمنيتُ لو كان لنا براءتك وبساطتك. إنك تسبقنا بمراحل. وقد رددت دين صداقتك بالطريقة التي علّمنا إياها الرب نفسه.

طروبارية القدّيس يوحنا الروسي : إنّ الذي دعاك من الأرض إلى المساكن السماويّة ، حفظ جسَدَك بعد الموت سالماً أيها المغبوط ، لأنّك ، يا يوحنا ، وأنت مأسورٌ في آسيا ، حافظت على محبّتك للمسيح ، فإليه تضرّع أن يخلّص نفوسنا.

«ويلٌ لكم أيّها الفريسيون لأنكم تعشّرون النعنع والسَّذاب وكل بقل وتتجاوزون عن الحق ومحبّة الله» (لو١١: ٤٢)

سَذّاب : نبات بين العشب والشَجر ، ويصل أحياناً إلى حجم العليقة ، وكان الفريسيّون يهتمون بدفع العشور عنه (لو١١: ٤٢)، واسمه في اللاتينيّة ***ruta-graveolens*** ويتراوح ارتفاعه بين قدمين واربعة أقدام، وله رائحة نفّاذة ، قد تكون غير مقبولة، وكانوا يزرعونه للحصول على دواء منه ، كما كانوا يأخذون عُشبة منه ويضعونها على غطاء رأس الطفل كطلسم لحفظه من الحَسَد. والسَّذاب من محاصيل البحر الأبيض المتوسط ، وكان البعض يستعملونه للطعام، وهو ليسَ نباتاً برّياً كما يظن البعض ، وإلاّ ما كان هناك سبب لتقديم العشور عنه.

السيد المسيح والتلاميذ الأطهار

فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس.
وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر

(متى 28:19–20)